محمد هادي

كيف تنجح في علاقاتك الاجتماعية

سلسلة فن التعامل مع الناس



دار
المحجة
البيضاء

سلسلة فن التّعامل مع النّاس

كيف تنجح في
علاقاتك الاجتماعيّة

محمّد هادي

دار المحجّة البيضاء

الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م

دار المحجة البيضاء
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت ـ لبنان ـ حارة حريك ـ ص.ب : ١٤/٥٤٧٩
تلفاكس : ٠١/٥٥٢٨٤٧ ـ خليوي : ٠٣/٢٨٧١٧٩



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ

ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ

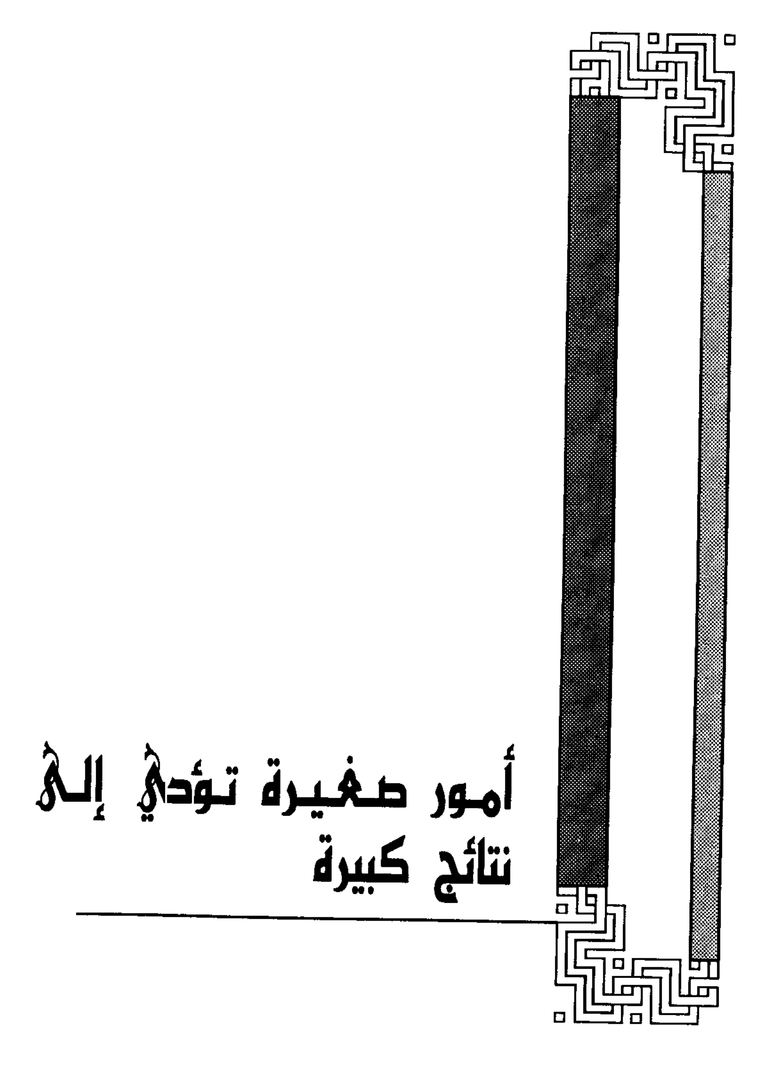
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ

صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ





أمور صغيرة تؤدي إلى نتائج كبيرة



في العلاقات الاجتماعية، ليست القضايا الكبيرة دائماً هي التي لها التأثير الكبير، فأحياناً تكون هنالك أمور صغيرة لها فعل المعجزة في كسب الناس، وتوطيد العلاقة معهم، والتأثير فيهم.

وفيما يلي سبعة عشر أمراً صغيراً تترك آثاراً كبيرة في النجاح في العلاقات الاجتماعية والحفاظ على الأصدقاء، وكسب المزيد منهم.

الأمر الأول: تقديم الهدايا

قال رسول الله ﷺ «الهدية تورث المحبة»[1].

إن الهديّة رمز المحبة، وكلما ازدادت الرموز، كلما تجذرت المحبة في نفوس الأصدقاء.

---

(1) فروع الكافي ٥/١٢٤.

ومن هنا فإن ـ سبحانه وتعالى ـ حرّم «الصدقة» على نبيّه، ولكنه استحب له قبول «الهدية».

وقد قال رسول الله ﷺ بشأن ذلك: «لو أهدي لي كراع لقبلت»[1].

ذلك أنّ (الهدية تجدد الأخوة، وتذهب بالضغينة)[2].

تقول أم حكيم الخزاعية:

«سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تهادّوا، فإنه يضاعف الحب ويذهب بغوائل الصدور»[3].

ويقول الإمام موسى الكاظم عليه السلام:

«لو حملوا إلينا زكاة وعلمنا أنها زكاة رددناها، وإذا كانت هدية قبلناها»[4].

وفي الحقيقة فإن للهدية الآثار التالية:

أولاً: في الهدية تكريم للأصدقاء

فأهميّة الهدية ليست في قيمتها المادية، بل في قيمتها المعنوية، فالذي تقدم له هدية، قبل أن يتبادر إلى ذهنه القيمة

---

(١) فروع الكافي ٥/ ١٤٣.

(٢) عوالي اللئالي ١/ ٢٩٤.

(٣) المستطرف ١/ ١١٩.

(٤) فرج المهموم ص ١١٠.

المادية لها، سيحس في نفسه أنك أكرمته، وأعليت مقامه، وغطيته بثوب جميل من الاحترام الدافىء.

لذا فإن رسول الله ﷺ يقول في حقوق الأخ على أخيه المؤمن:

«من تكرمة الرجل لأخيه أن يقبل تحفته، ويتحفه بما عنده، ولا يتكلّف له شيئاً»[1].

فليس المطلوب أن تعمد إلى كل ما تملك، وتقدمه هدايا للأصدقاء، وإنما المطلوب أن تقدم ما هو ممكن مهما كان ثمنه.

«ولا يتكلف له شيئاً»[2].

وقد ورد عن رسول الله ﷺ قوله:

«من سألكم بالله فأعطوه، ومن استعاذكم فأعيذوه، ومن أهدىٰ إليكم كراعاً فاقبلوه»[3].

إن الهدية قد تكون مجرد «قلم» أو «بطاقة معايدة» أو قطعة «قماش» أو أغلى من ذلك، أو أرخص، فالمهم ليست القيمة المادية، بل «المحبة» التي ترمز إليها. ولذلك فإن علينا أن لا نبخل بتقديم الهدايا للآخرين، كما أن علينا أن نقبلها ممن يقدمها لنا بلا تردد.

---

(١) المحاسن ص ١٤٥، جامع السعادات ٢/ ١٥١.

(٢) المحاسن ص ١٤٥، جامع السعادات ٢/ ١٥١.

(٣) المستطرف ١/ ١١٩.

يقول إبراهيم الكرخي:

«سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الرجل تكون الضيعة الكبيرة، فإذا كان يوم المهرجان أو النيروز أهدوا إليه الشيء ليس هو عليهم، يتقربون به إليه؟».

فقال عليه السلام: «أليسوا هم مصلّين؟».

قلت: بلى.

فقال عليه السلام: «فليقبل هديتهم»[1].

ثانياً: الهدية أقصر الطرق إلى قلوب الناس

إنك قد تود كسب شخص ما، ولكنه قد يكون في «مستوى» معين كأن يكون غنياً جداً، أو موظفاً كبيراً أو من أشبه، فتحتار ماذا تقدم له وأية هدية تناسبه فتحجم عن تقديم أي شيء، إلا أنّ الهدية ليست في قيمتها المادية، فإن أصغر هدية تكون لها قيمتها المعنوية، حتى وإن كان المهدي إليه غنياً عنها، ولا تساوي الهدية عنده شيئاً.

فالهدية لها قيمتها الخاصة، وأنت من خلالها، ستصل عبر أقصر الطرق إلى قلبه، وذلك لأنك عقدت حبل المودة بينك وبينه.

وإذا عم الحب بينكما، حينئذ تكون قد وصلت إلى

(١) دار السلام ٣/ ٤٣٠.

تحقيق الصداقة، بأقصر الطرق.

يقول المثل:

«الهدية تجلب المودة إلى القلب والسمع والبصر»[1].

ويقول الإمام علي عليه السلام:

(الهدية تجلب المحبة)[2].

لقد تساءلت يوماً:

لماذا يقبل بعض الموظفين الرشاوي، ويسهّلون الأمور لمن يقدمها لهم وإن كان غريباً عنهم، ولا يعرفونه من ذي قبل؟ ولماذا لا يقوم هؤلاء الموظفون بقبول الرشوة بدون تنفيذ ما يطلب منهم الراشون؟

فتذكرت قول الإمام علي عليه السلام:

«أحسن إلى من شئت تكن أميره»[3].

ثم تساءلت أيضاً: إذا كانت الرشوة تقوم بهذا الدور، فكيف بالهدية؟!

إن من تدفع له هدية تصبح أميره، بالإضافة إلى أنها تصنع المحبة بين الأصدقاء.

---

(١) المستطرف ١/١١٩.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم ١/١٢٨/٨٨.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم ١/١٢٨/٨٨.

يقول رسول الله ﷺ:

«الهدية تورث المحبة»[1].

ويقول الإمام علي عليه السلام:

«الهدية تجلب المحبة»[2].

وقيل في الأمثال:

«إذا قدمت من سفر فاهد أهلك ولو حجراً»[3].

فالهدية - حتى وإن كانت مجرد حجر - هي رسالة محبة من صاحبها إلى من تُهدى إليه.

ثالثاً: الهدية تجدد العلاقة مع الأصدقاء

إذا كانت بينك وبين شخص صداقة قديمة، ثم حجبتها مشاغلك ومشاغله، أو سافر فترة من الزمن ولما عاد كانت العلاقة بينكما قد أصبحت في خبر «كان»! فإن أفضل وسيلة لإعادة الصداقة إلى سابق عهدها، هو أن تقدم لصديقك هدية، وستقوم الهدية، بدور المطر الذي يطهل على مزرعة قطع عنها الماء طويلاً، وستخضر المحبة بينكما.

يقول رسول الله ﷺ:

---

(١) الكافي ٥/ ١٤٤.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/ ٣٢/ ٣٦٨.

(٣) المستطرف ١/ ١١٩.

«الهدية تورث المودة وتجدد الأخوة»[1].

رابعاً: الهدية تغسل الأحقاد القديمة

إذا وقع الخلاف بين اثنين، ثم حاول أحدهما العودة إلى صاحبه، فإن أفضل وسيلة لذلك هو أن يقدم هدية له، فإنها ستغسل الأحقاد القديمة.

يقول رسول الله ﷺ:

«تهادّوا فإن الهدية تغل السخائم (الأحقاد)»[2].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«تهادوا تحابوا فإن الهدية تذهب بالضغائن»[3].

ويقول أحدهم:

(ما أُسترضيٰ الغضبان، ولا استعطف السلطان، ولا سلبت السخائم، ولا دفعت المغارم، ولا استميل المحبوب، ولا توقىٰ المحذور بمثل الهدية)[4].

وقد قيل:

«في نشر المهاداة طي المعاداة»[5].

---

(١) عوالي اللئالي ١/ ٢٩٤.
(٢) الكافي ٥/ ١٣٤.
(٣) الخصال ١/ ٢٧/ ٩٧.
(٤) المستطرف ١/ ١١٩.
(٥) المستطرف ١/ ١١٩.

ويقول الرسول الكريم ﷺ:

«الهدية تذهب الغل»[1].

ويقول ﷺ:

«تهادوا فإنه يضاعف الحب ويذهب بغوائل الصدور»[2].

خامساً: الهدية تقضي الحاجات.

قول رسول الله ﷺ:

«نعم الشيء الهدية إمام الحاجة»[3].

فإذا كانت لك حاجة عند شخص وكان يستثقل قضاءها، فإن الهدية تدفعه إلى استسهال ما يطلب منه.

يقول رسول الله ﷺ:

«الهدية مفتاح الحوائج»[4].

وإذا كانت الهدية مفتاح الحوائج، أفليس من الجهل تجاهل المفتاح للحصول على قضاء الحاجة؟

يقول رسول الله ﷺ:

---

(١) دعائم الإسلام ٢/٣٢٦.
(٢) المستطرف ١/١١٩.
(٣) تفسير القمي ١/١٤٦.
(٤) عيون الأخبار ٢/٧٤.

«الهدية تفتح الباب المصمت»[1].

وإذا كانت الهدية تفتح الباب المصمت، أفليست قادرة على أن تفتح قلب صديقك؟

سادساً: الهدية رد جميل على مثيلاتها

ما من شخص إلا ويُهدى إليه، بعض الهدايا، فلا يجوز أن يكون الإنسان مستقبلاً للهدايا فقط، بل لا بدّ أن يرد على الهدية بالمثل.

فالهدية جميلة عندما تكون من الطرفين، وليس من طرف واحد، ولذلك فإن رسول الله ﷺ عندما يتحدث عن أثر الهدية، فإنما يقصد بها الهدية المتبادلة، لا الهدية من «طرف واحد» فقط، لذا فهو يقول:

«تهادوا تحابوا»[2].

أي تبادلوا الهدايا حتى تتحابوا، أمّا عندما تكون الهدية من طرف واحد فحسب فإنها لا تستمر، تماماً كأي شيء آخر في هذه الحياة، فعندما تساعد إنساناً، وهو يستنكف عن مساعدتك، فإنك ستسحب يد المساعدة عنه لا محالة، إن عاجلاً، أو آجلاً.

---

(١) عوالي اللئالي ١/ ٢٩٤.

(٢) الصداقة والأصدقاء ص ٢٠١.

وقد سأل أبو عبد الله عليه السلام أصحابه فقال:

أتتهادون؟

قالوا: نعم، يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله

قال: «فاستديموا الهدايا بردِّ الظروف إلى أهلها»[1].

وهنا قد يتبادر إلى الذهن سؤال يقول ما الفائدة إذا أصبحت المسألة متساوية: هدية، بهدية؟ أليس ذلك مثل عملية البيع والشراء؟

والجواب أن الهدية قيمتها برمزيتها، أكثر ممّا هي في ثمنها المادي، ومن هنا فإنك برد الهدية تربح القيمة المعنوية، وهي تعميق المحبة، وشد أواصر العلاقة مع صديقك.

وقد جاء في الأحاديث: «إن التهادي من عمل حور العين».

ويقول الإمام علي عليه السلام:

«ما استعطف السلطان، ولا استسل الغضبان، ولا استميل المهجور، ولا استنجحت صعاب الأمور، ولا استدفعت الشرور، بمثل الهدية»[2].

إذن للهدية دور كبير في تغيير مجرى الأحداث، فحتى

---

(١) حلية المتقين ص ٤٩٢.

(٢) دار السلام ٣/ ٤٥٥.

السلطان، يمكن استمالته بواسطة الهدية، وإذا كان الأمر كذلك مع السلاطين، فما أجمل أن يكون للهدية دور فعال في علاقة الإنسان بأصدقائه من عامة الناس؟!

ثم إنّ الهدية قد تكون معنوية مثل كلمة طيبةً أو إرشاد ضال، أو قول حسن، فليس المطلوب أن تكون الهدايا دائماً مادية، بل الهدايا المعنوية قد تفوق في أهميتها الهدايا المادية.

يقول القرآن الكريم:

﴿قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى﴾[1].

يقول رسول الله ﷺ:

«ما أهدى المرء المسلم إلى أخيه هدية، أفضل من كلمة حكمة يزيده الله بها هدى، أو يرد عنه ردى»[2].

ويقول الإمام علي عليه السلام:

«إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان، فاهدوا إليها طرائف الحكم»[3].

وقد ورد في حديث شريف:

إن جبرائيل عليه السلام قال لرسول الله ﷺ:

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٦٣.

(٢) منية المريد ص ١٠٥.

(٣) نهج البلاغة ص ٤٨٣.

«يا رسول الله إن الله تبارك وتعالى أرسلني إليك بهدية لم يعطها أحداً قبلك!».

فقال رسول الله: وما هي؟

قال جبرائيل: الصبر وأحسن منه..

قال النبي: وما هو؟

قال: «الرضا»[1].

❀ ❀ ❀

الأمر الثاني: تبادل الزيارات

يقول رسول الله ﷺ:

«من زار أخاه في بيته، قال عز وجل له: أنت ضيفي وزائري، عليَّ قراك وقد أوجبت لك الجنة بحبك إياه»[2].

إن زيارة الأصدقاء ليست كقطعة خشبية، تتقاذفها الأمواج العاتية في البحار، فأين اتجهت الأمواج أخذتها معها بل هي مثل المسمار الذي يستعمل في تثبيت اللّوحة كلما زادت، كلما تمحضت الصداقة، وازدادت متانة.. بينما إذا قلّت زيارتك للإخوان فستنمحي صورتك في القلوب، وينمحي ذكرك عن الألسن.

---

(١) معاني الأخبار ص ٢٦٠.

(٢) الكافي ٢/١٧٦ ـ ٦/١٧٧.

فمن يبتعد عن أنظار الناس يختفي من قلوبهم أيضاً، تماماً كما هو الأمر مع المتوفى، فإن أهله وأصحابه يذرفون عليه الدموع في الأيام الأولى من وفاته، ويقيمون الفاتحة على روحه، ولكن مع مرور الزمن ينساه الجميع، وتنمحي صورته في الأذهان.

ومن هنا، فإن مجرد الابتعاد عن الإخوان يجعل الإنسان منسياً.

وبالإضافة إلى ما ذكر، فإن لزيارة الأصدقاء فائدتين مهمّتين وهما:

أولاً: الثواب

فالأحاديث الواردة في ثواب زيارة الأصدقاء كثيرة جداً، وسنورد بعضاً منها في السطور القادمة.

ثانياً: الاستفادة الفكرية والاجتماعية

فأنت عندما تقوم بزيادة أصدقائك، تقوم بتدارس الأمور معهم - شئت ذلك أم أبيت -، ومن ثم تتلاقح أفكارك مع أفكارهم ويجري بينك وبينهم تبادل الآراء في مختلف شؤون الحياة.

يقول رسول الله ﷺ:

«سِرْ سنين برّ والديك».

«سِرْ سنة صل رحمك».

«سِرْ ميلاً عُدْ مريضاً».

«سِرْ ميلين شيّع جنازة».

«سِرْ ثلاثة أميال أجبْ دعوة».

«سِرْ أربعة أميال زُرْ أخاً لله».

«سِرْ خمسة أميال أنصر مظلوماً».

«سِرْ ستة أميال أغث ملهوفاً، وعليك بالاستغفار فإنه المنجاة»[1].

فإذا كان لك أخ أو صديق، يبعد عنك ثمانية كيلومترات، فامشِ هذا الطريق كله من أجل القيام بزيارته.. فإنه أهل لذلك.

لماذا؟.

لأن «الزيارة - كما يقول رسول الله ﷺ - تنبت المودة»[2]!.

وقد يتساءل المرء: قد لا نجد سبباً لزيارة الأصدقاء.. فما العمل؟

---

(١) مصادقة الإخوان ص ٥٨.

(٢) الجعفريات ص ١٥٣.

والجواب: ليست الزيارة بحاجة إلى «سبب» للقيام بها، فالزيارة، هي السبب، فما المانع أن تأتي إلى دار صديقك وتطرق عليه الباب وتستأذن ثم تدخل!.

وإذا سألوك: ما حاجتك؟

تقول لهم: زائر في الله، وحاجتي زيارتكم!

وحتى لو إن كان صاحب الدار لا يعرفك ولا أنت تعرفه فلا مانع من الزيارة إذ يكفي أنك مؤمن وهو مؤمن، وأنت بشر وهو بشر، ولا بد أن تلتقي مع إخوانك، وبني جنسك، ولتكن هذه الزيارة هي بداية للتعارف بينكما.

فليس الناس خرجوا من بطون أمهاتهم، وهم يعرفون بعضهم البعض، ولا بد أن يكون أول لقاء بينهما قد تم بلا ميعاد سابق، ومن دون معرفة مسبقة!.

هذا بالإضافة إلى أن للزيارة ثواباً عظيماً عند الله تعالى.

يقول رسول الله ﷺ:

«من زار أخاه في بيته قال عز وجل له: أنت ضيفي وزائري، عليَّ قراك، وقد أوجبت لك الجنة بحبك إياه»[1].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«من زار أخاه في الله، جاء يوم القيامة يخطر بين قباطي

---

(١) الكافي ٢/١٧٦ ـ ١٧/٦.

من نور، لا يمر بشيء إلا أضاء له حتى يقف بين يدي الله، فيقول عز وجل: مرحباً». . فإذا قال له مرحباً أجزل له العطية[1].

ويقول الإمام الباقر عليه السلام:

«إن لله عز وجلَّ جنّة لا يدخلها إلا ثلاثة: رجل حكم على نفسهِ بالحقِّ، ورجل زار أخاه المؤمن، ورجل آثر أخاه المؤمن في الله»[2].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«تزاوروا، فإن زيارتكم إحياء لقلوبكم، وبإحياء القلوب وذكر الأحاديث يعطف بعضكم على بعض فإن أخذتم بها [أي أصبحت الزيارة فيما بينكم عادة دائمة] رشدتم ونجوتم، فإن تركتموها ظلمتم، وهلكتم، فخذوا بها وأنا بنجاتكم زعيم»[3].

ويقول عليه السلام أيضاً لأحد أصحابه:

«أبلغ من ترى من مواليّ السلام، وأوصهم بتقوى الله العظيم، وأن يعود غنيّهم على فقيرهم، وقويهم على ضعيفهم، وأن يشهد حَيّهم جنازة ميتهم، وأن يتلاقوا في بيوتهم، فإن لقاء بعضهم بعضاً حياةٌ لأمرنا، فرحم الله عبداً أحيا أمرنا»[4].

---

(١) مصادقة الإخوان ص ٥٨، وكتاب الكافي ٢/١٧٧/٨.

(٢) الكافي ٢/١٧٧ ـ ١٧٨/١٠.

(٣) الكافي ٢/١٨٦/٢.

(٤) الكافي ٢/١٧٥/٢.

ويقول الإمام الباقر عليه السلام:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حدثني جبرائيل عليه السلام إن الله عز وجل أَهبط إلى الأرضِ ملكاً، فأقبل ذلك الملك يمشي حتى وقع إلى باب عليه رجل يستأذن على رب الدار، فقال له الملك: ما حاجتك إلى رب هذه الدار؟.

قال: لي أخ مسلم زرته في الله تبارك وتعالى.

فقال له الملك، ما جاء بك إلا ذاك؟

فقال: ما جاء بي إلا ذاك.

فقال: إني رسول الله إليك وهو يقرئك السلام ويقول: «وجبت لك الجنة».

وقال الملك: إن الله عز وجل يقول: «أيما مسلم زار مسلماً فليسَ إياهُ زار، إياي زار وثوابه عليَّ الجنة»[1].

وقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام:

«إن المؤمن ليخرج إلى أخيه يزوره فيوكل الله عز وجل به ملكاً فيضَع جناحاً في الأرض وجناحاً في السماء يظلّله، فإذا دخل إلى منزله نادى الجبار تبارك وتعالى:

«أيها العبد المعظِّم لحقّي، المتّبع لآثار نبيّي، حقٌّ عليّ إعظامك سلني أعطك، إدعني أجبك، إسكت ابتدئك» فإذا

(١) الكافي ٢/١٧٦/٣.

انصرف شيّعه الملك يظلّله بجناحه حتى يدخل إلى منزله، ثم يناديه تبارك وتعالى:

«أيّها العبد المعظِّم لحقي، حق عليّ إكرامك، قد أوجبت لك جنتي وشفعتك في عبادي»[1].

وقال الإمام الصادقعليه السلام لأبي خديجة:

«كم بينك وبين البصرة؟».

قال: في الماء خمس إذا طابت الريح، وعلى الظهر ثمان ونحو ذلك، فقال: «ما أقرب هذا، تزاوروا وتعاهدوا بعضكم بعضاً، فإنه لا بدّ يوم القيامة يأتي كل إنسان بشاهد شهد له على دينه»[2].

ويقولعليه السلام:

«من زار أخاه في الله في مرض أو صحة، لا يأتيه خداعاً ولا استبدالاً، وكّل الله به سبعين ألف ملك، ينادون في قفاه: «أن طبت وطابت لك الجنة.. فأنتم زوار الله، وأنتم وفد الرحمن» حتى يأتي منزله.

فقال له بشير: جعلت فداك! فإن كان المكان بعيداً؟

قال: «نعم يا بشير! وإن كان المكان مسير سنة؛ فإن الله

---

(١) حق اليقين ص ٤٨٦.

(٢) جامع السعادات ٢/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥.

جواد، والملائكة كثير، يشيعونه حتى يرجع إلى منزله»[١].

ويقول عليه السلام أيضاً:

«ملاقاة الإخوان مسرة، وتلقيح العقل وإن كان نزراً قليلاً»[٢].

ويقول عليه السلام:

«إن من روح الله إفطار الصائم، ولقاء الإخوان، والتهجد بالليل»[٣].

ويقول عليه السلام في حديث آخر:

«زر أخاك في الله، فإنما منزلة أخيك منزلة يديك، تدور هذه عن هذه، وهذه عن هذه»[٤].

أي إن إخوانك مثل يديك، كما أن يديك كثيراً ما تتلاقيان، كذلك لا بد أن يتلاقى الإخوان كثيراً.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«إن ملكاً من الملائكة مر برجل قائم على باب دار فقال له الملك: يا عبد الله ما يقيمك على باب هذه الدار، قال فقال: أخ لي فيها أردت أن أسلم عليه.

---

(١) جامع السعادات ٢/ ٢٥٤، الكافي ٢/ ١٧٧/ ٧.

(٢) أمالي لاطوسي ص ٩٣.

(٣) دعائم الإسلام ١/ ٢٧١.

(٤) مصادقة الإخوان للصدوق ص ٥٦.

فقال الملك: هل بينك وبينه رحم ماسة أو هل نزعتك إليه حاجة؟

فقال: لا بيني وبينه رحم، ولا نزعتني إليه حاجة إلا أخوة الإسلام، وحرمته وأنا أتعهده وأسلّم عليه في الله رب العالمين.

فقال الملك: إني رسول الله إليك وهو يقرئك السلام ويقول: إنما إيايّ أردت، ولي تعاهدت، وقد أوجبت لك الجنة، وأعفيتك من غضبي، وأجرتك من النار»[1].

وقد ورد عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام:

«أيّما مؤمن خرج إلى أخيه يزوره عارفاً بحقه كتب الله له بكل خطوة حسنة، ومحيت عنه سيئة، ورُفِعَتْ له درجة، فإذا طرق الباب فتحت له أبواب السماء.

فإذا التقيا وتصافحا وتعانقا أقبلَ اللهُ عليهما بوجهه ثم باهى بهما الملائكة فيقول:

«انظروا إلى عَبْدَيَّ تزاورا وتحابّا فيَّ، حق عليَّ ألا أُعذبهما بالنارِ، بعد ذا الموقف» فإذا انصرف شيّعه ملائكة عدد نفسه وخطاة كلامه، يحفظونه عن بلاء الدنيا وبوائق الآخرة إلى مثل تلك الليلة من قابل، فإن مات فيما بينهما أعفي من الحساب، وإن كان المزور يعرف من حق الزائر ما عرفه الزائر

(١) جامع الأخبار ص ١١٨.

من حق المزور كان له مثل أجره»[1].

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«إنَّ ضيف الله عز وجل رجل حجَّ واعتمر فهو ضيف الله حتى يرجع إلى منزله، ورجل كان في صلاته فهو في كنف الله حتى ينصرف، ورجل زار أخاه المؤمن في الله عز وجل فهو زائر الله في عاجل ثوابه وخزائن رحمته»[2].

ويقول عليه السلام:

«إذا كان يوم القيامة نادى العبد إلى الله تعالى فيحاسبه حساباً يسيراً فيقول: يا مؤمن ما منعك أن تعودني حين مرضت؟»

فيقول المؤمن:

ـ أنت ربي وأنا عبدك، أنت الحي القيوم الذي لا يصيبك ألم ولا نصب.

فيقول عز وجل:

ـ «من عاد مؤمناً أن تعوده حين مرض؟ أما إنك لو عدته لعدتني ثم لوجدتني عنده، ثم لو سألتني حاجة لقضيتها لك ولم أردَّك عنها»[3].

---

(١) حق المتقين ص ٥٤٧

(٢) الخصال ١/١٢٧/١٢٧.

(٣) المحجة البيضاء ٣/٤١١.

ويقول أيضاً:

«لزيارة المؤمن في الله خير من عتق عشر رقاب مؤمنات»[1].

وقيل:

«المحبة شجرة أصلها الزيارة»[2].

ويقول الإمام الرضا عليه السلام:

«لكل أخوين في الله لباس وهيئة يشبه هيئة صاحبه، وهم يُعرفون بذلك حتى يدخلون في دار الله عز وجل، فيقول الله تبارك وتعالى:

ـ «مرحباً بعبيدي وخلقي وزواري والمتحابين فيَّ في محل كرامتي، أطعموهم واسقوهم واكسوهم».

فأول من يكسى منهم سبعون إلى سبعمائة ألف حلة ـ إن شاء الله تعالى ـ من الحلل ليس منها حلة تشبه صاحبها، ثم يقول:

ـ «مرحباً بعبيدي وزواري وجيراني في محل كرامتي والمتحابين فيَّ، اطعموهم وعطروهم» فينشر سحاب بالعطر لم يروا قبله ما يشبهه، ثم يقول لهم: «مرحباً مرحباً (عشر

(١) حق اليقين ص ٤٨٦

(٢) التذكرة الحمدونية ١/ ٢٧٥.

مرات))»، حتى أحلوهم إلى تحت الأظلال وفيما بين أيديهم مائدة من ذهب وفضة»[1].

ويقول علي بن عثمان الرازي:

سمعت أبا الحسن الأول عليه السلام يقول:

- «من لم يقدر على زيارتنا فليزر صالحي إخوانه يكتب له زيارتنا، ومن لم يقدر أن يصلنا فليصل صالحي إخوانه يُكتب له ثواب صلتنا»[2].

ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله:

«مثل الأخوين إذا التقيا، مثل اليدين تغسل أحداهما الأخرى»[3].

ويضيف صلى الله عليه وآله:

«ما لقىٰ المؤمنان قط، إلا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيراً»[4].

ويقول الإمام زين العابدين عليه السلام:

«نظر المؤمن في وجه أخيه حباً له عبادة»[5].

---

(١) جامع الأخبار للسبزواري ٣٢٤/ح ٩١١.
(٢) جامع الأخبار للسبزواري ٣٢٣/ح ٩١٣.
(٣) جامع السعادات ٢/ ٢٥٥.
(٤) جامع السعادات ٢/ ٢٥٥.
(٥) نوادر الراوندي ص ١١.

ويقول رسول الله ﷺ:

يقول الله تعالىٰ: «وجبت محبتي للمتحابين فيَّ والمتباذلين فيَّ، والمتزاورين فيَّ، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي»[1].

ويقول الشاعر:

زُرْ مَنْ تحبَّ وإن شطت بك الدارُ   وحال من دونه حجب وأستارُ

لا يمنعك بُعد من زيارته   إن المحبَّ لمن يهواه زَوّارُ[2]

وورد في الحديث الشريف:

«النظر إلى وجه المؤمن عبادة».

وإذا كانت مجرد النظرة إلى الإصدقاء عبادة فكيف بزيارتهم؟.

ثم إن زيارة الأصدقاء شأنها شأن بقية الأمور الاجتماعية لها حدودها المعقولة فلا بد من الالتزام بهذه الحدود.. إذ ليس من المعقول، أن يترك الناس أعمالهم، ويجلسوا في البيوت، لاستقبال من صار عمله اليومي زيارة الأصدقاء!.

كما ليس المطلوب منك، أن تحمل نفسك في كل ساعة وتذهب لزيارة الأصدقاء ممّا قد تسبب حرجاً لهم:

---

(١) التذكرة الحمدونية ١/ ٢٧٥.

(٢) التذكرة الحمدونية ١/ ٢٧٦.

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«شر الإخوان من تكلف له»[1].

وإنما عليك أن تذهب لزيارة صديقك، إذا كان في وضع يرتاح إليك فيه، ولا تسبب له حرجاً. أما إذا كان وضعه لا يسمح فقلل من زيارتك له.

ولقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله:

«زُر غُباً، تزدد حُباً»[2].

والمقصود أن تزورَ إخوانك يوماً وتتركهم أياماً، ولا تحط على باب دورهم، إذ الزيارة ليست أربعاً وعشرين ساعة، فإنها تنقص المحبة.

يقول أحد الشعراء:

عليك باغبابُ الزيارة إنها إذا كثرت صارت إلى الهجر مسلكا
ألم تر أن الغيث يسأم دائماً ويسأل بالأيدي إذا هو أمسكا[3]

يقول الإمام علي عليه السلام:

«من كثرت زيارته، قلت بشاشته»[4].

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم ١/٤٠٤/٣٥.

(٢) التذكرة الحمدونية ١/٢٧٦.

(٣) التذكرة الحمدونية ١/٢٧٦.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/١٦٧/٣٥٩.

ويقول: «كثرة الزيارة تورث الملالة»[1].

فعندما لا تلتقي بصديقك لمدة أسبوع، ثم تراه فهو لا بد أن يبتسم في وجهك وتبتسم في وجهه، ويمد يده لمصافحتك وتمد يدك لمصافحته، فاللقاء بعد طول الفراق له طعم آخر. أما مواصلة الزيارة، فإنها تقلل من البشاشة وتزيد في الملالة. فـ «اغباب الزياة أمان من الملالة» ـ كما يقول الإمام علي عليه السلام ـ.

❀ ❀ ❀

الأمر الثالث: المصافحة والمعانقة

قال الإمام الصادق عليه السلام:

«إن المؤمنينَ إذا التقيا، فتصافحا أدخل الله عز وجل بينهما مائة رحمة، تسعة وتسعون منها لأشدهما حباً لصاحبه، وإذا اعتنقا غمرتهما الرحمة»[2].

ويقول الإمام أيضاً:

«مصافحة المؤمن أفضل من مصافحة الملائكة»[3].

فليكن لقاءنا بالأصدقاء مقروناً بمصافحتهم، ومعانقتهم، وتقبيلهم، والابتسام لهم، فهذه الممارسات من العادات

---

(١) تحف العقول ص ٨٨.
(٢) الكافي ٢/ ١٨٢/ ١٤.
(٣) الكافي ٢/ ١٨٣/ ٢١.

الصغيرة، التي تقود إلى نتائج كبيرة، وهي ليست ضرورية لسلامة الصداقة فحسب، بل هي من أسباب النجاح في الحياة أيضاً. فمثلاً قد تجد إنساناً ناجحاً في الحياة لأنه تعوّد أن يبتسم للناس، أو لعلك تجد إنساناً ناجحاً، لكونه يصافح من يلتقي به بحرارة ويعانقه بمودة، ويقبله بإخلاص.

من هنا فلا غرابة إذا عرفنا، أن الله (سبحانه وتعالى) يعطي ثواباً كبيراً لهذه الأعمال إذا ما قيّت بصغرها، وسهولة أدائها.

يقول الإمام الباقر عليه السلام:

«إذا صافح الرجل صاحبه، فالذي يلزم التصافح أعظم أجراً من الذي يدع، ألا وإن الذنوب ليتحات فيما بينهم حتى لا يبقى ذنب»[1].

ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله:

«من أخلاق النبيين والصديقين البشاشة إذا تراءوا، والمصافحة إذا تلاقوا»[2].

إن المصافحة رمز المحبة، ولذلك فإن الرسامين عندما يحاولون التعبير عن المحبة يرمزون إليها برسم يدين تصافح الواحدة منهن الأخرى، ويرسمون على بطاقة الزواج، صورة

(1) الكافي ٢/ ١٨١/ ١٣.

(2) التذكرة الحمدونية ١/ ٢٦٨.

للمصافحة للتعبير عن المحبة التي يقوم على أساسها الزواج.

ولا شك أنك لو أخذت فكرة سيئة عن فرد، ثم واجهته فتقدم إليك مصافحاً بحرارة، فإن نظرتك عنه ستتغير إلى الأحسن، فكأن يده لم تمتد إلى يدك بل إلى قلبك لتمحو عنه النظرة السيئة.

يقول رسول الله ﷺ:

«إذا التقيتم فتلاقوا بالتسليم والتصافح، وإذا تفرقتم فتفرَّقوا بالاستغفار»[1].

ويقول ﷺ:

«ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غُفر لهما قبل أن يتفرقا»[2].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«أنتم في تصافحكم في مثل أجور المجاهدين»[3].

ويقول إسحاق بن عمّار:

دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فنظرَ إليَّ بوجه قاطب.

فقلت: ما الذي غيّرك لي؟

---

(١) الكافي ٢/ ١٨١/ ١٠.

(٢) إحياء علوم الدين ٣/ ١٨٧.

(٣) حلية المتقين ص ٥٤٧.

فقال: الذي غيّرك لإخوانك، بلغني يا إسحاق أنك أقعدت ببابك بواباً يرد عنك فقراء الشيعة؟

فقلت: جعلت فداك إني خفت الشهرة.

فقال: أفلا خفت البلّية، أو ما علمت أن المؤمنين إذ التقيا فتصافحا أنزل الله عز وجل الرحمة عليهما، فكانت تسعة وتسعين لأشدهما حباً لصاحبه، فإذا تواقفا غمرتهما الرحمة[1].

يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«إذا لقيتم إخوانكم فتصافحوا، وأظهروا لهم البشاش والبشر، تتفرقوا وما عليكم من الأوزار قد ذهب»[2].

ويقول الإمام الباقر عليه السلام:

«إذا صافح الرجل صاحبه فالذي يلزم التصافح (أي الذي يشهر في مصافحته) أعظم أجراً من الذي يدع»[3].

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«صافح عدوّك وإن كره، فإنّه مما أمر الله عز وجل به عباده، يقول تعالى:

---

(١) حلية المتقين ص ٥٤٧.

(٢) حلية المتقين ص ٥٤٦.

(٣) حلية المتقين ص ٥٤٦.

﴿ادفع بالتي هي أحسن، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنّه ولي حميم * وما يلّقاها إلا الذين صبروا وما يُلّقاها إلا ذو حظ عظيم﴾[1]»[2].

ومن هنا كان رسول الله ﷺ عندما يصافح شخصاً لا يسحب يده، حتى يسحب هو الآخر يده، ولو طالت المصافحة!.

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«ما صافح رسول الله ﷺ رجلاً قط فنزع يده حتى يكون هو الذي ينزع منه»[3].

ويقول عليه السلام:

«لقي النبي ﷺ حذيفة، فمد النبي ﷺ يده فكف حذيفة يده، فقال النبي ﷺ: يا حذيفة بسطت يدي إليك فكففت يدك عني؟ فقال حذيفة: «يا رسول الله بيدك الرغبة»[4] ولكنني كنت جنباً فلم أحب أن تمس يدي يدك وأنا جنب، فقال النبي ﷺ:

«أما تعلم أن المسلمَين إذا التقيا فتصافحا تحاتت ذنوبهما كما يتحات ورق الشجر؟»[5].

---

(١) سورة فصلت، آية: ٣٤ ـ ٣٥.

(٢) حلية المتقين ص ٥٤٦ ـ ٥٤٧.

(٣) حلية المتقين ص ٥٤٦، أصول الكافي ٢/ ١٨٢/ ١٥.

(٤) «بيدك الرغبة» كأن الباء بمعنى (في) أي يرغب جميع الخلق في مصافحة يدك الكريمة.

(٥) أصول الكافي ٢/ ١٨٣/ ١٩.

يقول رسول الله ﷺ:

«إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه وليصافحه، فإن الله عز وجل أكرم بذلك الملائكة فاصنعوا صنع الملائكة»[1].

ويقول ﷺ أيضاً:

«تصافحوا فإنها تذهب بالسخيمة»[2].

لقد اكتشف العلم الحديث، أن بين السبابة والإصبع الكبيرة عصباً، فإذا وقع عصب المتصافحين على بعضهما فإن ذلك يحدث أثراً إيجابياً على أعصابهما، ومن ثمّ تترك أثراً إيجابياً على الحالة النفسية لكليهما.

إلا أن الإسلام سبق العلم الحديث بكثير، في تحديد هذه الحقيقة، فلقد قال رسول الله ﷺ:

«المصافحة تذهب الغلّ»[3].

هذا بالإضافة إلى الثواب الذي يحصل عليه المتصافحان، فقد جاء في الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قوله:

«مصافحة المؤمن أفضل من مصافحة الملائكة»[4].

---

(١) الكافي ٢/ ١٨١/ ١٠.
(٢) الكافي ٢/ ١٨٣/ ١٨.
(٣) بحار الأنوار ٧٧/ ١٦٥.
(٤) الكافي ٢/ ١٨٣/ ٢١.

فليس غريباً إذن أن يعطي الله للمؤمن ثواباً كبيراً على المصافحة والمعانقة، إذا ما قيست هذه الأمور بحجمها الصغير، وسهولتها في الأداء والتنفيذ.

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«مصافحة المؤمن بألف حسنة»[1].

وقد تسأل ما هو قدر الحسنة؟.

والجواب:

إنها كبيرة جداً، فنحن في الصلاة ندعو الله أن يعطينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ونقول: «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة»[2].

فكيف بألف حسنة؟!

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«إن الله عز وجل لا يقدر أحداً قدره وكذلك لا يقدر قدر نبيّه، وكذلك لا يقدر قدر المؤمن، إنه ليلقىٰ أخاه فيصافحه فينظر الله إليهما والذنوب تتحات عن وجوههما حتى يتفرقا، كما يتحات الريح الشديدة الورق عن الشجر»[3].

---

(١) مشكاة الأنوار ص ٢٠٣.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠١.
(٣) الكافي ٢/ ١٨٣/ ٢٠.

وورد عن الإمام الباقر عليه السلام:

«إن المؤمنين إذا التقيا فتصافحا أقبل الله عز وجل عليهما بوجهه، وتساقطت عنهما الذنوب كما يتساقط الورق من الشجر»[1].

فلكي نكسب الأجر فعلينا أن نصافح بشوق وحرارة، وأن نطيل المصافحة، وإذا أردنا ثواباً أكثر فلنكمل المصافحة بالمعانقة.

وأي غمرة من الحب يحس بها الصديقان أكثر حينما يطوق كل منهما عنق الآخر بحنان وحرارة!.

وما أروع تلك اللحظات التي تلتقي فيها بصديق عزيز عليك، فتمدّ يدك مصافحاً له، ثم تتعانقان فترة طويلة، لتعبرا عن فرحكما بدموع الشوق؟

يقول أبو عبيدة، وهو من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام:

«زاملتُ أبا جعفر عليه السلام في شق محمل من المدينة إلى مكة، فنزل في بعض الطريق، فلما قضى حاجته وعاد، قال:

«هات يدك يا أبا عبيدة فناولته يدي فغمرها حتى وجدت الأذى في أصابعي» ثم قال:

«يا أبا عبيدة ما من مسلم لقي أخاه المسلم فصافحه

---

(١) الكافي ٢/ ١٨٢/ ٤.

وشبك أصابعه إلا تناثرت عنهما ذنوبهما كما يتناثر الورق من الشجر في اليوم الشاتي»[1].

ويقول أبو عبيدة أيضاً:

«كنت زميل أبي جعفر عليه السلام وكنت أبدأ بالركوب، ثم يركب هو فإذا استوينا سلَّم وساءل مساءلة رجل لا عهد له بصاحبه وصافح، وكان إذا نزل نزل قبلي فإذا استويت أنا وهو على الأرض سلَّم وساءلَ مساءلة من لا عهد له بصاحبه، فقلت: «يا ابن رسول الله إنك لتفعل شيئاً ما يفعله أحد من قبلنا وإن فعل مرةً فكثير؟!».

فقال: «أما علمت ما في المصافحة، إن المؤمنين يلتقيان، فيصافح أحدهما صاحبه، فلا تزال الذنوب تتحات عنهما كما يتحات الورق عن الشجر، والله ينظر إليهما حتى يتفرقا»[2].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«إن المؤمنين إذا اعتنقا غمرتهما الرحمة، لا يريدان بذلك إلا وجه الله ولا يريدان غرضاً من أغراض الدنيا، قيل لهما: مغفور لكما فاستأنفا، فإذا أقبلا على المسائلة قالت الملائكة بعضها لبعض:

---

(١) الكافي ٢/ ١٨٠/ ٥.

(٢) الكافي ٢/ ١٧٩/ ١.

«تنحّوا عنهما فإن لهما سراً وقد ستر الله عليهما.

قال إسحاق: فقلت: جعلت فداك فلا يكتُبْ عليهما لفظهما، وقد قال الله تعالى: **﴿ما يلفظ من قولٍ إلا لديه رقيب عتيد﴾**[1]؟

«فتنفس أبو عبد الله عليه السلام الصعداء ثم بكىٰ حتى اخضلّت دموعه لحيته، وقال:

«يا إسحاق إن الله تعالى إنما أمر الملائكة أن تعتزل عن المؤمنين إذا التقيا إجلالاً لهما، وإنّه وإن كانت الملائكة لا تكتب لفظهما ولا تصرف كلامهما فإنه يعرفه ويحفظهما عالم السر وأخفى»[2].

ويقول أبو ذر (رضي الله عنه):

«ما لقيت رسول الله صلى الله عليه وآله إلا صافحني، فطلبني يوماً فلم أكن في البيت فلما أخبرت جئت وهو على سرير فالتزمني فكانت أجود وأجود»[3].

وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله:

«قُبلة المسلم أخاه المصافحة»[4].

---

(١) سورة ق، آية: ١٨.
(٢) المحجة البيضاء ٣/ ٣٨٩.
(٣) المحجة البيضاء ٣/ ٣٩٠.
(٤) المحجة البيضاء ٣/ ٣٨٧.

وعنه ﷺ:

«تمام تحيتكم بينكم المصافحة»[1].

هذا عن المصافحة، والمعانقة، فماذا عن التبسم؟

جاء في كتاب كيف تكسب الأصدقاء:

«إن تعبيرات الوجه تتكلم بصوت أعمق أثراً من صوت اللسان. وكأني بالابتسامة تقول لك عن صاحبها: «إني أحبك. إنك تمنحني السعادة. إني سعيد برؤيتك».

ولا تحسب أن المقصود بالابتسامة مجرد «علامة» ترتسم على الشفتين لا روح فيها ولا إخلاص، كلا! فهذه لا تنطلي على أحد، وإنّما أتكلم عن الابتسامة الحقيقية التي تأتي من أعماق نفسك، تلك هي الابتسامة التي تجلب الربح الجزيل في ميادين المال، وتجلب النجاح في مجال العمل.

يقول مدير إحدى شركات المطاط الكبرى: إن الرجل قلما ينجح في عمله ما لم يقبل عليه بروح الدعابة والمرح - إذن فهذا الرجل الذي يعد من أقطاب الصناعة لا يؤمن بالحكمة القديمة القائلة إن الجهد وحده هو وسيلة النجاح! ثم استطرد يقول «عرفت رجالاً نجحوا في أعمالهم لأنهم كانوا يقبلون عليها كإقبالهم على وسائل التسلية والترفيه عن النفس،

---

(١) المحجة البيضاء ٣/ ٣٨٧.

ثم رأيت هؤلاء الرجال أنفسهم وقد حصروا همهم كله في العمل فإذا هو امتلأ غضاضة، وإذا هم قد فقدوا استمتاعهم به فأخفقوا».

فإذا لم تستشعر بوجود حافز على الابتسام فماذا تفعل؟

والجواب:

أولاً، اقسر نفسك على الابتسام.

وثانياً، إظهر بمظهر الشخص السعيد، فلن تملك بعد قليل إلا أن تستشعر السعادة الحقة. وفي هذا يقول أحد علماء النفس: «الذي يبدو لنا أن الأفعال تعقب الإحساس، ولكن الواقع أن الفعل والإحساس يسيران جنباً إلى جنب، أو هما مظهران لشيء واحد، فإذا نحن سيطرنا على «العقل» الذي يخضع لسلطان الإرادة، أمكننا بطريق غير مباشر أن نسيطر على الإحساس».

إذن فالطريقة المؤدية إلى الابتهاج، إذا افتقدنا الابتهاج، هي أن نتصرف كما لو كنا مبتهجين حقاً.

يقول أحد الرجال الناجحين، إنه وجد منذ زمن مضى أن الرجل المبتسم أهل للترحيب في كل مكان، ومن ثم اعتاد قبل أن يدخل مكتب أحد عملائه أن ينتظر لحظة ويفكر في الأفضال التي منّ بها الله سبحانه عليه، والتي ينبغي أن يسعد بها فترتسم على محياه ابتسامة مشرقة راضية، ثم يدخل

المكتب. . وهو يعزو إلى هذه الخطة البسيطة نجاحه الكبير في مختلف ميادين الحياة.

فإذا غادرت باب بيتك، فارفع رأسك، واملأ رئتيك بالهواء، وحيِّي أصدقاءك بإبتسامة مشرقة، وبث الروح في كل مصافحة، ولا تخش أن يساء فهمك، ولا تضيّع لحظة في التفكير في خصومك، بل حاول أن تتبين هدفك جيداً في ذهنك، ثم تقدم إليه مباشرة. أحصر ذهنك في الآمال الكبار التي تريد تحقيقها، وسوف تجد بمرور الأيام أنك تقتنص الفرص، في غير وعي منك لتحقيق هذه الآمال. تَمثّل في ذهنك صورة الشخص الناجح الذي تريد أن تكونه، وستحولك هذه الصورة رويداً إلى ذلك الشخص الذي تطمع في أن تكونه. إن التفكير هو أرقى مميزات الإنسان، وأن تفكر تفكيراً صحيحاً هو أن تخلق وتبتكر، فكل الآمال الكبار تبدأ في صورة رغبة، وإننا آخر الأمر سائرون إلى المثل الأعلى الذي ترغبه قلوبنا.

لقد كانت لأهل الصين القدامى حكمة رائعة، ومنها هذه الحكمة التي يجمل بنا أن نعلقها على صدورنا كي لا ننساها أبداً:

«إن الذي لا يُحسن الابتسام، لا ينبغي له أن يفتتح متجراً!»[1].

إن الابتسامة لا تكلف شيئاً ولكنها تعود بالخير الكثير علينا.

---

(١) كيف تكسب الأصدقاء ص ٣٠.

إنها تغني أولئك الذين يأخذونها، ولا تفقر الذين يمنحونها!..

إنها لا تستغرق أكثر من لمح البصر، لكن ذكراها تبقى إلى آخر العمر!.

لن تجد أحداً من الغنى بحيث يستغني عنها، ولا من الفقر في شيء وهو يملك ناصيتها؟.

إنها تشيع السعادة في البيت، وتطيب الذكر في العمل، وهي التوقيع على ميثاق المحبة بين الأصدقاء.

إنها راحة للتعب، وشعاع الأمل للبائس، وأجمل العزاء للمحزون، وأفضل ما في جعبة المبتلى من حلول للمشكلات؟.

وبرغم ذلك فإن الابتسامة لا تشترى، ولا تستجدي، ولا تقترض، ولا تسلب! إنها شيء لا يكاد يؤتي ثمرته المباركة حتى يتطاير شعاعاً!.

فإذا أتاك الناس وأنت في محل عملك، وألفيتهم من التعب والإرهاق بحيث عز عليهم الابتسام، فكن أخاً كريماً وامنحهم ابتسامة من لدنك.. فأحوج الناس إلى الابتسامة هو الذي لم يبق له شيء من الابتسام ليهبه!.



الأمر الرابع: تبادل القبلات

قال الإِمام الحسن عليه السلام:

«إذا لقي أحدكم أخاه فليقبل موضع النور من جبهته»[1].

إن المرء إذا توج لقاءه مع صديقه بالقبلة، فقد حاز على كل ثمار المحبة، وعمّق جذورها في نفسه، ونفس صديقه أيضاً.

وأفضل موضع لتقبيل المؤمن هو بين عينيه، أي موضع النور من جبهته.

وقد قال في ذلك الإِمام علي عليه السلام في وصيته لابنه الحسن عليه السلام:

«بني! إذا رأيت مؤمناً فقبّل موضع النور من جبهته»[2].

كما قال الإمام الصادق عليه السلام:

«إن لكم لنوراً تعرفون به في الدنيا حتى إن أحدكم إذا لقي أخاه قبّله في موضع النور من جبهته»[3].

نعم... إن موضع النور من جبهة المؤمن يستحق التقبيل فهو موضع السجود لله.

---

(١) تحف العقول ص ٢٣٧.

(٢) الكافي ٢/ ١٨٥.

(٣) المحجة البيضاء ٣/ ٣٨٩.

ومن ثم فهو موقع الشموخ في الرّجال، فلماذا لا تقبّله؟.

إن عادة التقبيل، هي من أفضل العادات الموجودة عند بعض الأمم، وهي أخلص رسل المحبة بين الأحباب، والذين يتجاهلون التقبيل يتجاهلون المحبة نفسها.

❀ ❀ ❀

الأمر الخامس: إقامة المآدب

قال الله تعالى: ﴿وأطعموا القانع والمعتر﴾[1].

من الممكن أن نلغي عدة متطلبات من حياتنا إلا أن هناك شيئاً واحداً لا يمكننا إلغائه ما دمنا أحياءً، ولا مناص من الركض وراءه، والجهاد لتحصيله وهو الطعام.

فمن الممكن أن لا يتعلم الإنسان أيّ علم، أو أن لا يقرأ أو يكتب، ولكن الأمر الذي لا يمكنه تجاهله هو: «أن لا يأكل» فلا يستطيع أحد أن يلغي بطنه من الحياة. والذي يحاول ذلك سيموت جوعاً.

وكم نقل لنا التاريخ، أخبار جيوش انتصرت على جيوش أخرى، لأن الأولى استطاعت أن تقطع عن عدوها إمدادات التموين؟

---

(1) سورة الحج، آية: ٣٦.

ثم إنه بمقدار ما يحتاج الإنسان إلى الطعام، فإن له ذات المقدار من الأجر حينما يؤمنه للآخرين.

وإذا رجعنا للقرآن، فإنا نرى أن من جملة النعم التي يسبغها الله ـ سبحانه وتعالى ـ علينا بشكل دائم، هي نعمة إطعامنا الطعام.

يقول تعالى:

﴿فليعبدوا ربّ هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾[1].

وإذا كان المطلوب منا كمسلمين، أن نتخلق بأخلاق الله، فجدير بنا أن نتعلم كيف نؤمّن الخبز للناس؟

ثم إن الإطعام جزء من العملية التربوية لأن المُطعم في الحقيقة ينفق أمرين:

الأول: المال.

الثاني: الجهد.

وبهذا فقد جعل الله الإطعام كفارة أساسية لذنوب كثيرة، كما جعله جزءاً من الكفارة في ذنوب أخرى ذلك لأن الإطعام له الأثر الكبير في توطيد دعائم الأخوة في المجتمع، وهو أكثر من الهدية والمصافحة والتبسم في الأجر والثواب والآثار الاجتماعية.

---

(١) سورة قريش، آية: ٣ ـ ٤.

ولكي نعرف أهمية الإطعام، لنتذكر قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع أحد الملحدين..

فقد كان إبراهيم الخليل عليه السلام لا يأكل إلا ومعه غيره، وكان أحياناً يخرج إلى قارعة الطريق، ليطلب من أي إنسان يجده، أن يأتي إليه ويشاركه الطعام.

وذات مرة رأى رجلاً قد اشتعل رأسه بالشيب، فطلب منه أن يأتي معه إلي بيته، ليأكل معه ما رزقه الله تعالى.

وقبل الرجل الدعوة وحين وضع الطعام، طلب إبراهيم عليه السلام منه أن يسمي بالله، ثم يأكل..

فقال الرجل: ومن هو الله؟!.

قال له إبراهيم عليه السلام: ربّنا وخالقنا!.

إلا أن الرجل رفض ذلك ولم يسمِّ.

فالتفت إبراهيم الخليل عليه السلام إليه وقال:

ـ «لو كنت أعلم أنك لن تسمي باسم الله (جل شأنه)، لما دعوتك.

فغضب الرجل وألقى اللقمة من يده، وخرج من الدار منكفئاً.

فبدا الارتياح على وجه إبراهيم عليه السلام لأنه لم يطعم من يرفض أن يذكر اسم الله.

وما هي إلا لحظات ونزل عليه الوحي قائلاً:

ـ «يا إبراهيم!».

«أطعمناه ستين عاماً، ولم نسأله أن يسمينا، فلم منعته من الطعام، حين رفض أن يُسمينا؟».

فخرج إبراهيم يبحث عن الرجل، ولما وجده اعتذر منه، ودعاه من جديد، لكن الرجل تعجب من إبراهيم فقال:

ـ «لقد قلت لي: لو كنت أعلم أنك لن تسمي ربّك لما طلبت منك أن تدخل داري وتأكل معي.. والآن تطلب مني أن أرجع لأعاود الأكل معك، بعد أن عرفت أنني لا أسميه؟

فقال له إبراهيم عليه السلام: «لقد عاتبني ربّي على ما قلت لك.. وقال لي: أطعمناه ستين عاماً ولم نطلب منه أن يذكرنا».

فاستيقظ ضمير الرجل، وطلب من إبراهيم أن يعرض عليه الدين ثم آمن على يدي إبراهيم عليه السلام[1].

ولقد جاء في الدعاء عن الإمام السجاد عليه السلام:

«يا من يعطي من سأله، يا من يعطي من لم يسأله، ومن لم يعرفه تحنناً منه ورحمة»![2].

---

(١) راجع التوبة والرحمة الإلهية، للمؤلف.

(٢) الإقبال ص ٦٤٤.

إن الإطعام كأي مستحب ديني آخر، له فائدة مزدوجة: دنيوية وأخروية.

ففي الإِطعام شحذ للصفات الإنسانية السامية كالكرم والحب والإخلاص، كما أنه طريق لكسب المزيد من الأصدقاء والإِخوان، وهو مؤثر في شدّ الأواصر في المجتمع.

كما أن له ثواباً كبيراً عند الله (سبحانه وتعالى) ويكفي أن يكون أحد أنواع الكفارات التي يغسل بها الإنسان ذنوبه، ويزكي بها نفسه.

وقد جاء في الحديث عن الإِمام الصادقعليه السلام قوله:

«لإطعام مؤمن أحبُّ إليَّ من عتق عشر رقاب وعشر حجج».

قال الراوي: قلت: «عشر رقاب وعشر حجج؟».

فقال: «إن لم تطعموه مات أو تذلونه.. مَنْ أحيىٰ مؤمناً فكأنما أحيىٰ الناس جميعاً فإن لم تطعموه فقد أمنتموه وإن أطعمتموه فقد أحييتموه»[1].

وعن الإمام عليعليه السلام:

«لئن أصنع صاعاً من طعام، وأجمع عليه إخواني في الله، أحب إليَّ من أن أعتق رقبة»[2].

---

(١) الكافي ٢/ ٢٠٤/ ٢.

(٢) المحجة البيضاء ٣/ ٣٢٠.

هكذا وقد تسأل: لماذا؟

والجواب:

يقول أبو حمد الوابشي: ذكر أصحابنا عند أبي عبد الله عليه السلام فقلت:

«ما أتغدّى ولا أتعشى إلا ومعي منهم اثنان والثلاثة وأقل وأكثر».

فقال أبو عبد الله عليه السلام:

«فضلهم عليك أعظم من فضلك عليهم».

فقلت:

«جعلت فداك كيف وأنا أطعمهم طعامي وأنفق عليهم من مالي وأخدمهم عيالي؟».

فقال:

«إنهم إذا دخلوا عليك دخلوا برزق من الله عز وجل كثير، وإذا خرجوا خرجوا بالمغفرة لك»[1].

ويقول الإمام أبو جعفر عليه السلام:

«لأن أطعم رجلاً مسلماً أحبُّ إليَّ مِن أن أعتق أفقاً من الناس».

---

(١) الكافي ٢/٢٠٢/٩.

قال الراوي: قلت: «وكم الأفق؟».

فقال: عشرة آلاف[1].

وسئل رسول الله ﷺ:

«ما الإيمان؟».

فقال: «إطعام الطعام وبذل السلام».

وقال ﷺ:

ـ «إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها يسكنها من أمتي من أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلى بالليل والناس نيام»[2].

وورد في الخبر: أن الله تعالى يقول للعبد في القيامة:

«يا ابن آدم، جِعت فلم تطعمني».

فيقول العبد: «كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟»

فيقول تعالى: «جاع أخوك فلم تطعمه، ولو أطعمته كنت أطعمتني»[3].

وكان إبراهيم الخليل عليه السلام إذا أراد أن يأكل، خرج ميلاً أو ميلين يلتمس من يتغدى معه، وكان يكنى (أبا الضيفان)[4].

---

(١) الكافي ٢/ ٢٠٢/ ١٠.

(٢) جامع السعادات ٢/ ١٥٣.

(٣) جامع السعادات ٢/ ١٥٣.

(٤) جامع السعادات ٢/ ١٥٢.

وعن سدير ـ أحد أصحاب الإمام الباقر عليه السلام ـ قال:

ـ قال لي أبو جعفر: «يا سدير، هل تعتق في كل يوم نسمة؟».

قلت: لا!.

قال: ولا في كل شهر، تعتق رقبة!؟

قلت: لا!.

قال: ولا في كل سنة!.

قلت: لا!

قال: سبحان الله! أما تأخذ بيد أخيك في الله، وتدخله بيتك، وتطعمه؟ فوالله، لذلك أفضل من عتق رقبة من ولد إسماعيل[1]!

ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله:

«من أطعم مؤمناً من جوع، أطعمه الله من ثمار الجنة، ومن سقاه من ظمأ، سقاه الله من الرحيق المختوم»[2].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«ثلاثة من أفضل الأعمال: شبعة جوعة المسلم، وتنفيس

---

(1) حلية المتقين ص ٤٩٠.
(2) الكافي ٢/٢٠١/٥.

كربته، وكسوة عورته»[1].

وعن رسول الله ﷺ قال:

«من أطعم ثلاثة نفر من المسلمين، أطعمه الله من ثلاث جنان: في ملكوت السماء، والفردوس، وجنة عدن غرسها الله بيده»[2].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«المنجيات التي تنجي الإنسان من العذاب: إطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام»[3].

ولو تبصّرنا في الحديث لوجدنا، إن «إطعام الطعام» يأتي في الترتيب قبل «صلاة الليل».. ذلك لأن ربنا (عز وجل) لا يريد منا عبادة فقط، بل يريد منا أن نتخلق بأخلاقه، والعبادة هي وسيلة من الوسائل، لذلك فإن لم تؤدِّ إلى هذا الغرض تكون هباءاً منثوراً كالزبد الذي يذهب جفاء.

فـ «كم من صائم، ليس له من صومه إلا الجوع والعطش، وكم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر والتعب»![4].

---

(١) مصادقة الإخوان ص ٤٤.

(٢) المحاسن ص ٣٨٧.

(٣) المحاسن ص ٣٨٧.

(٤) بحار الأنوار ٩٦/٢٨٩.

يقول رسول الله ﷺ:

«الخير أسرع إلى البيت الذي يُطعم فيه الطعام، من الشفرة في سنام الإبل»[١].

وفي رواية أخرى:

«إذا كان يوم القيامة، يقال للمؤمن: تصفح وجوه الناس، وتعرف على من له فضل عليك. فمن سقاك شربة ومن أطعمك أكله ومن كساك جبة، ومن فعل بك كذا وكذا من الأفعال الصالحة، فخذ بيده وأدخله الجنة»[٢].

ولقد جاء رجل إلى الصحابي الجليل سلمان الفارسي، يدعوه إلى الطعام عند رجل آخر، فقال له: إن فلاناً صنع لك طعاماً.

فقال سلمان: اقرأه منا السلام وقل له: أنا ومَن معي؟

فرجع الرسول فقال: «أنت ومَنْ معك»

قال: «فقمنا وكنا ثلاثة عشر رجلاً فأتينا الباب فاستئذن فخرج رب البيت فأخذ بيد سلمان فأدخله البيت».

ثم أمر رفقتنا عن يمينه وعن شماله فاجلسه وحل زر قميصه وكان أيام حر ففرح منه فضحك سلمان ففرحنا بضحكه.

---

(١) حلية المتقين ص ٤٩١.

(٢) الصداقة والأصدقاء.

فقلنا: يا أبا عبد الله ما كان الذي أضحكك؟

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«ما من مسلم أكرم أخاه المسلم بتكرمة، يريد بها وجه الله، إلا نظر الله إليه، وإذا نظر الله إلى عبد فلا يعذبه أبداً»[1].

وبالطبع فإن من ينظر الله إليه، لا يعذبه بناره!.

ومن هنا كان إطعام الطعام عند الإمام علي عليه السلام أفضل من عتق رقبة في سبيل الله.

وفي الحقيقة فإنه حينما تصافح رجلاً، فإنك تظهر له حبك، أما عندما تدعوه لوليمة فإنك تضمن حبه لك. وهو إذن كما يقول الإمام الصادق عليه السلام صاحب الفضل عليك لأن حبه لك يتجذر ويزداد بقبوله دعوتك.

وقد نتساءل: هل يجب أن ندعو الفقراء من أخوتنا فقط إلى الولائم؟.

وإذا كان لا يوجد لنا أخ فقير فهل هناك أيّ داع للاستضافة؟.

والجواب: إن الإطعام، ليس محدداً بأي شيء، فلا يشترط في المدعو أن يكون فقيراً معدماً، كما لا يشترط في

(١) مشكاة الأنوار ص ١٨٨.

الطعام أن يكون كثيراً وفاخراً. بل يكفي أن يكون صاعاً، أو بمقدار لقمة، أو قطعة حلويات.

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«من لقّم مؤمناً لقمة حلاوة، صرف الله بها عنه مرارة يوم القيامة»[1].

وكم هي عظيمة مقاييس الله (سبحانه وتعالى)؟.

وكم هي واسعة رحمته للعباد، فقطعة حلاوة يقدمها الإنسان لصديقه، يصرف الله بها عنه وعن صديقه، مرارة يوم القيامة!.

يقول سدير الصيرفي:

قال لي أبو عبد الله عليه السلام:

«ما منعك أن تعتق كل يوم نسمة؟».

قلت: لا يحتمل مالي ذلك.

قال: تطعم كل يوم مسلماً.

فقلت: موسراً أو معسراً؟

فقال: إن الموسر قد يشتهي الطعام[2].

---

(١) ثواب الأعمال ص ١٥١، مصادقة الإخوان ص ٤٦.

(٢) الكافي ٢/٢٠٢ ـ ٢٠٣/١٢.

أي فما المانع في إطعام الموسر أيضاً.

يقول عبد الله بن سليمان: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام، فقدم إلينا طعاماً فيه شواء وأشياء بعده، ثمّ جاء بقصعة من أُرز، فأكلت معه، فقال: «كلْ».

قلت: قد أكلت.

فقال: كلْ فإنّه يعتبر حبّ الرجل لأخيه بانبساطه في طعامه.

ثمّ حاز لي حوزاً بأصبعه من القصعة، وقال لي: «لتأكلنّ بعد ما قد أكلت، فأكلته»[1].

إن في الحياة أموراً لا فرق فيها بين الأثرياء والفقراء، ومن ضمن هذه الأمور: الحاجة إلى الطعام والحاجة إلى الماء، فالجوع جوع، والعطش عطش، سواء لدى الفقير أم الغني، والثواب إنما هو على «الأرواء» و «الإشباع» لا على الجسم الذي يرتوي، أو يشبع، وأنت تدعو الإنسان باعتباره مؤمناً، أما كونه غنياً أو فقيراً، فهذا ليس شرطاً.

صحيح أن لإطعام الفقراء ثواباً أكثر من إطعام الأغنياء، كما أن لإرواء العطاشى ثواباً أكثر من إرواء من يجد ماءاً، إلاّ أن ذلك لا يعني أن نمتنع عن الإطعام إلاّ للفقراء من الأصدقاء...

---

(١) المحاسن ٢/١٨٣/١٥٢٦.

يقول رسول الله ﷺ:

«من أفضل الأعمال عند الله، إبراد الأفئدة الحارة»[1].

ويقول ﷺ:

«من سقى مؤمناً شربة من ماء من حيث يقدر على الماء أعطاه الله بكل شربة سبعين ألف حسنة.. وإن سقاه من حيث لا يقدر على الماء فكأنما أعتق عشر رقاب من ولد إسماعيل»[2].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«أيّما مؤمن سقىٰ مؤمناً سقاه الله من الرحيق المختوم»[3].

وأتى رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال:

«ما عمل إن عملت به دخلت الجنة؟

فقال ﷺ: اشتر سقاء جديداً ثم اسقِ فيها حتى تخرقها، فإنك لا تخرقها حتى تبلغ بها عمل الجنة»[4].

ويقول ﷺ أيضاً:

«أفضل الصدقة سقي الماء»[5].

---

(١) إرشاد القلوب ص ١٤٦.

(٢) الكافي ٢/٢٠١/٧.

(٣) دار السلام ٣/٤١٧.

(٤) دار السلام ٣/٤١٧ ـ ٤١٨.

(٥) الغايات ص ٧٢.

وهكذا فإن سقى الماء للعطشان، وإشباع البطون الجائعة، من أفضل الأعمال عند الله. مع قطع النظر عن وضع الجائع والعطشان، أما إذا كان من المعدمين فإن ذلك يصبح من الواجبات.

يقول رسول الله ﷺ:

«والذي نفس محمد بيده، لا يؤمن بي عبد يبيت شبعان وأخوه - أو قال جاره - المسلم جائع»[١].

ويقول الإمام زين العابدين عليه السلام:

«من بات شبعاناً وبحضرته مؤمن طاوٍ، قال الله تعالى: «ملائكتي! أشهدكم على هذا العبد. أمرته فعصاني، وأطاع غيري، فوكلته إلى عمله. وعزتي وجلالي! لا غفرت له أبداً»[٢].

وكما يستحب لك الإطعام، يستحب الاستجابة لطعام من يدعوك من أصدقائك وإخوانك بل لو كنت قد نويت الصوم المستحب، فدعيت إلى العام، فالأفضل هو استجابة دعوة أخيك، ولك أجر الصائم وأجر الاستجابة لدعوة المؤمن معاً...

يقول رسول الله ﷺ:

(١) إرشاد القلوب ص ١٤٦، وإعلام الدين ص ٢١٦.

(٢) المحاسن ١/١٨٢/٢٩٠.

«من لا يجب الدعوة، فقد عصى الله ورسوله»[1].

ويقول ﷺ أيضاً:

«أوصي الشاهد من أمتي والغائب أن يجيب دعوة المسلم ولو على خمسة أميال، فإن ذلك من الدين»[2].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «فرض المؤمن على المؤمن إذا دعاه أن يجيبه»[3].

وورد عن رسول الله ﷺ:

«من الجفاء أن يدعى الرجل إلى طعام فلا يجيب، أو يجيب فلا يأكل»[4].

ويقول ﷺ:

«لو أن مؤمناً دعاني إلى ذراع شاة لأجبته، وكان ذلك من الدين»[5].

ويقول:

«أجيبوا الداعي، وعودوا المريض»[6].

---

(١) دعوات الراوندي ١٤١/ح ٣٥٨.
(٢) دار السلام ٣/ ٣٤٧.
(٣) دار السلام ٣/ ٣٤٧.
(٤) دار السلام ٣/ ٣٤٧.
(٥) المحاسن ٢/ ١٨٠/ ١٥١١.
(٦) مجموعة ورام ١/ ٨.

وكان الإمام الصادق عليه السلام: يقول لأصحابه: «إن أشدكم حباً لنا أحسنكم أكلاً عندنا»[1].

إذن، أن تطعم الإخوان، وتستجيب لدعوتهم، هما أمران صغيران إلاّ أن لها تأثيراً كبيراً في تمتين العلاقة مع الناس، يجب أن لا نهملهما.

❀ ❀ ❀

الأمر السادس: الدعاء للأصدقاء

يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«من قدم أربعين رجلاً من إخوانه، قبل أن يدعو لنفسه، استجيب له فيهم، وفي نفسه»[2].

نرى كم مرة دعوت لأصدقائك بعد صلاتك؟

وهل خفق قلبك لهم خوفاً من عذاب الآخرة فقمت ليلاً باكي العين تستغفر الله لهم؟

وهل تخشى النار عليهم كما تخشاها على نفسك، فتدعو لهم من أعماق قلبك حين تخلو مع ربك، كما تدعو لنفسك؟.

إن الصداقة في الإسلام علاقة واقعية بين أرواح

(١) المحاسن ص ٤١٤.
(٢) أمالي الصدوق ص ٣٨٠.

المؤمنين، وليست علاقة شكلية بين أجسادهم، ولذلك فإن الدعاء جزء من حق الأخ على أخيه، وإن كان هذا الدعاء في الغيب، ومن دون أن يعرف به أحد.

فأنت في جوف الليل، حينما تخلو إلى بارئك، وتفتح حديثاً مع الله من صميم فطرتك. فتنزلق دموعك على خديك خوفاً من النار واشتياقاً إلى الجنة. هنا ـ عندما تكون أقرب إلى الله ـ ألا تحب أن يستجيب الله لاستغاثتك وينجز طلباتك؟

إذن، ادع للأصدقاء فإن أكثر الأدعية إمكانية في الاستجابة هو الدعاء للصديق فلا تتردد في رفع كفيك إلى الله، وأنت تقول:

«اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، تابع اللّهم بيننا وبينهم بالخيرات إنك مجيب الدعوات، إنك غافر الخطيئات، إنك كل شيء قدير»[1].

ولا تتردد في طلب العفو والغفران لكل واحد من أصدقائك، واذكر أسماءهم أيضاً.

وقد ورد في الروايات استحباب الدعاء في صلاة الليل لأربعين مؤمناً بالاسم.

إن الصداقة في الإسلام ليست في العلن فحسب، إنما هي في السر أيضاً.

---

(١) راجع كتاب مفاتيح الجنان.

فكما أن الأصدقاء يحبون بعضهم علناً، كذلك فإن عليهم أن لا ينسى بعضهم البعض سراً.. وبالتالي لا ينسونهم من الدعاء. عندما يكونون مع ربهم وحدهم!

ثم أليس الإنسان يكلّف أقرب الناس إليه في التوسط له من أجل العمل أو لأية حاجة أخرى؟ وأليس من أهداف الصداقات تبادل الوساطات، بين الناس؟!.

إن الدعاء للصديق ليس لمصلحة الصديق فحسب، بل هو توسيط لدى الله (جل ذكره) ولذلك فهو عمل مقدس لأنه ـ كما يعمق المحبة بين الأصدقاء ـ فإنه يجعله مقدساً أيضاً.

فأنت عندما ترفع يدك بين يدي الله سبحانه وتعالى، وتقول «اللهم اغفر لفلان» فلا ريب أنك توحي إلى نفسك بحبه، فإذا لقيته أعززته في محضره، كما تطلب عزته في غيبته.

بالإضافة إلى أن الدعاء للآخرين يستجاب أكثر من الدعاء للنفس..

يقول زيد النرسي: كنت مع معاوية بن وهب في الموقف في عرفات وهو يدعو، فتقدمت دموعه فما رأيته يدعو لنفسه حرف، ورأيته يدعو لرجل رجل من الآفاق، ويسميهم ويسمي آباءه حتى أفاض الناس (أي انتقلوا إلى المزدلفة) فقلت له:

ـ يا عم لقد رأيت منك عجباً!

قال: وما الذي أعجبك مما رأيت؟

قلت: إيثارك أخواك على نفسك في مثل هذا الموضع، وتفقدك رجلاً رجلاً.

فقال لي: لا تعجب من هذا يا ابن أخي، فإني سمعت مولاي ومولاك ومولى كل مؤمن ومؤمنة، وكان والله سيد من مضى وسيد من بقى بعد آبائه عليهم الصلاة والسلام، وإلا صَمْتا أذنا معاوية وعميتا عيناه ولانالته شفاعة محمدﷺ إن لم يكن سمعته منه وهو يقول:

- من دعا لأخيه في ظهر الغيب ناداه ملك من السماء الدنيا: «يا عبد الله، ولك مئة ألف ضعف مما دعوت» وناده ملك من السماء الثانية: «يا عبد الله، ولك مئتا ألف ضعف مما دعوت». . وناداه ملك من السماء الثالثة: «يا عبد الله ولك ثلاثمائة ضعف مما دعوت»، وناداه ملك من السماء الرابعة: «يا عبد الله، ولك أربعمائة ألف ضعف مما دعوت» وناداه ملك من السماء الخامسة: «يا عبد الله ولك خمس مائة ألف ضعف مما دعوت» وناداه ملك من السماء السادسة: «يا عبد الله ولك ستمائة ألف ضعف مما دعوت» وناداه ملك من السماء السابعة: «يا عبد الله ولك سبعمائة ألف ضعف مما سألت»، ثم يناديه الله تبارك وتعالى: «أنا الغني الذي لا أفتقر، يا عبد الله لك ألف ألف ضعف مما دعوت». . فأي الخطرين أكبر يا ابن أخي ما اخترته أنا

لنفسي.. أو ما تأمرني به؟[1].

يقول الإمام علي عليه السلام:

«لا تستحقروا دعوة أحد، فإنه قد يستجاب لليهودي فيكم، ولا يستجاب له في نفسه»[2].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«الدعاء يرد القضاء بعدما أبرم أبراماً، فأكثروا من الدعاء فإنه مفتاح كل رحمة، ونجاح كل حاجة، ولا ينال ما عند الله إلا بالدعاء»[3].

إن كل ما في هذه الحياة، من عطاء الله ونعمه.. فالذي خلق الإنسان لقادر على إعطائه أي شيء طالما خضع له، ودعاه اعترافاً بهيمنته على كل شيء.. يقول تعالى: **﴿قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم﴾**[4].

فما عند الله لا يمكن الحصول عليه، إلا من طريقه هو، وليس عن طريق غيره، وطريق الله لطلب الحاجات هو الدعاء، وليس باب يكثر قرعه، إلا ويوشك أن يفتح لصاحبه.

إذن فلنكن ملحّين في دعواتنا من الله سبحانه وتعالى،

---

(١) عدة الداعي ص ١٨٤ ـ ١٨٥.
(٢) مكارم الأخلاق ص ٢٦٩.
(٣) مكارم الأخلاق ص ٢٦٩.
(٤) سورة الفرقان، آية: ٧٧.

فقد لا يستجاب لنا في المرة الأولى، فنعاود الدعاء في المرة الثانية والثالثة والرابعة.. حتى يمنّ الله علينا باستجابة الدعاء. فإن الله يحب الدّعاء الملح ـ كما جاء في الروايات ـ.

وأفضل طريقة لاستجابة الدعاء، أن تدعو لإخوانك المؤمنين أولاً وتذكرهم واحداً واحداً ثم تدعو لنفسك، لأن الله لا يحب الأناني وإن كان في الدعاء منه. ويحرّم النار على جسد من أحب الخير لغيره.

كان الإمام الحسن عليه السلام ذات مرة جالساً مع والدته فاطمة الزهراء عليها السلام، وهي تصلي صلاة الليل، فسمعها تدعو للجيران واستمرت كذلك حتى الصباح.

فالتفت إليها الإمام الحسن عليه السلام قائلاً:

ـ يا أماه، ما دعوتِ لنا؟.

فقالت:

ـ «بني! الجار ثم الجار»[1].

وهكذا.. فإن المؤمن يقدم «الجار على الدار» دائماً.. خاصة في الدعاء!.

يقول الإمام الباقر عليه السلام:

(١) بحار الأنوار ٩٣/ ٣٨٧.

«أوشك دعوة وأسرع إجابة: دعوة المؤمن لأخيه بظهر الغيب»[1].

ويقول الإمام الصادقعليه السلام:

«من قدم أربعين من المؤمنين ثم دعا، استجيب له»[2].

وورد في الحديث عن الإمام الباقرعليه السلام:

«أسرع الدعاء نجاحاً للإجابة دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب. وإذا بدأ بالدعاء لأخيه فيقول له ملك موكل به: آمين ولك مثلاه»[3].

ولقد جاء في الروايات أن الله أوحى إلى موسى بن عمرانعليه السلام:

فقال: يا موسى ادعني بلسانٍ لم تعصني به.

فقال: يا رب أنّى إليّ بذلك؟

فقال: ادعني على لسان غيرك[4].

وفي الحديث عن الإمام الصادقعليه السلام:

«ثلاث دعوات لا يحجبن عن الله عز وجل:

---

(١) عدة الداعي ص ١٨٣.
(٢) عدة الداعي ص ١٨٢.
(٣) عدة الداعي ص ١٨٣.
(٤) عدة الداعي ص ١٣٣، عوالي اللئالي ٤/ ٢١/ ٦١.

- دعاء الوالد لولده، إذا بره، وعليه إذا عقه.

- ودعاء المظلوم على ظالمه، ودعاؤه لمن انتصر له منه.

- ورجل مؤمن دعا لأخيه المؤمن إذا واساه فينا، ودعاؤه عليه إذا لم يواسه مع القدرة عليه واضطرار أخيه إليه»[1].

ويقول رسول الله ﷺ:

«ما من أحد دعا للمؤمنين إلا رد الله عليه مثل الذي دعا لهم به من كل مؤمن ومؤمنة قضى من أول الدهر إلى ما هو آت إلى يوم القيامة.. وإن العبد ليؤمر به إلى النار يوم القيامة فيُسحب، فيقول المؤمنون والمؤمنات:

- «يا رب هذا الذي كان يدعوا لنا فيشفعوا فيه فيشفِعَهُمْ الله فيه فينجو»[2].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن دعوة مستجابة»[3].

وورد في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«خمس دعوات لا يحجبن عن الرب تبارك وتعالى:

---

(١) عدة الداعي ص ١٣٣.

(٢) عدة الداعي ص ١٨٤، والكافي ٢/٥٠٧ ـ ٥٠٨/٥.

(٣) مصادقة الإخوان ٤٦/ح ١.

ـ دعوة الإمام المقسط (العادل).

ـ ودعوة المظلوم، يقول الله عز وجل: لأنتقمن لك ولو بعد حين.

ـ والولد الصالح لوالديه.

ـ والوالد الصالح لولده.

ـ ودعوة المؤمن لأخيه المؤمن بظهر الغيب فيقول: لك مثله»[1].

ويقول رسول الله ﷺ:

«يستجاب الرجل في أخيه ما لا يستجاب له في نفسه»[2].

ويروي علي بن محمد عن أبيه:

«رأيت عبد الله بن جندب في الموقف فلم أر موقفاً كان أحسن من موقفه، ما زال ماداً يديه إلى السماء ودموعه تسيل على خدَّيه حتى تبلغ الأرض فلما صدر الناس قلت له:

«يا أبا محمد ما رأيت موقفاً قط أحسن من موقفك..

قال: «والله ما دعوت إلا لإخواني وذلك أنَّ أبا الحسن موسى عليه السلام أخبرني أنَّ من دعا لأخيه بظهر الغيب نودي من العرش ولك مائة ألف ضعف، فكرهت أن أدع مائة ألف

(١) عدة الداعي ص ١٣١.

(٢) إحياء علوم الدين ٣/١٦٩.

مضمونة لواحدة لا أدري تستجاب أم لا»[1].

ويقول الإمام زين العابدين عليه السلام:

«إنَّ الملائكة إذا سمعوا المؤمن يدعو لأخيه المؤمن بظهر الغيب أو يذكره بخير قالوا:

«نعم الأخ أنت لأخيك، تدعو له بالخير وهو غائب عنك، وتذكره بخير.. قد أعطاك الله عز وجل مثليْ ما سألته له وأثنى عليك مثلي ما أثنيت عليه ولك الفضل عليه».. وإذا سمعوه يذكره أخاه بسوء ويدعو عليه قالوا له:

- بئس الأخ أنت لأخيك كفَّ أيها المستتر على ذنوبه وعورته، وأربع على نفسك وأحمد الله الذي ستر عليك واعلم أن الله عز وجل أعلم بعبده منك»[2].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«دعاء المرء لأخيه بظهر الغيب يدرّ الرزق ويدفع المكروه»[3].



(١) الكافي ٢/٥٠٨/٦.

(٢) الكافي ٢/٥٠٨/٧.

(٣) الكافي ٢/٥٠٧/٢.

الأمر السابع: الإعلان عن المحبة

يقول الإمام علي عليه السلام:

«إذا أحبَّ أحدكم أخاه فليخبره»[1].

فأن تقول لصديقك إنك تحبه، يثير فيه مشاعر الحب والخير، وتلك وإن كانت كلمة صغيرة إلا أن لها تأثير كبيراً على مجمل علاقة الإنسان بأخيه فالمحبة مثل العطر، لا بد أن تكشف غطاء القنينة عنه، حتى تفوح رائحته الزكية.

يقول أحد الناس:

«دخلت تجمعاً جديداً عليّ واستطعت أن أدخل في قلوب كل من صاحبتهم في هذا المجتمع إلا واحداً منهم، كلما تقربت منه، شعرت بعدم ارتياحه لي، ولقد فكرت ملياً في الدخول إلى قلبه، ووضعت خططاً، وطبقتها.

إلا أن شيئاً منها لم يجد!..

أتحدث معه، وكان صاداً بنصف وجهه عنِّي، ذات مرة قلت له:

- إسمع مني يا حبيبي..

فجأة.. وإذا بالرجل يوجه نظراته إليّ، قائلاً:

«ماذا قلت... حبيبي»؟!

---

(١) نهج البلاغة ١٨/ ١١٤.

فظننت أنه استنكر الكلمة، فقلت محاولاً تدارك الموقف:

- نعم إني صادق.. إني أحبك كما أحب نفسي..

وإذا بالرجل يفتح ذراعيه ويعانقني بلهفة.

ومنذ تلك اللحظة، أصبح الرّجل أعز أصدقائي في ذلك الموقع.

وهذا ليس غريباً، لأن الحب يشع من الإنسان إلى صاحبه ليعود مرة أخرى ويشع إليه.

يقول رسول الله ﷺ:

«إذا أحبَ أحدكم صاحبه أو أخاه فليعلمه»[1].

ترى لو أن إنساناً جاء إليك، وقال: أنا أحبك كثيراً، وعرفت أنه لا يريد منك شيئاً في مقابل ذلك، أليس تشعر بالارتياح منه وينشرح صدرك عند لقائه؟.

يقول رسول الله ﷺ:

«من كان له في قلب أخيه المؤمن مودة، ولم يعلمه فقد خان!».

وجاء في الحديث:

---

(١) المحاسن ١/٤١٥/٩٥٣.

«مر رجل في المسجد، وأبو جعفرعليه السلام وأبو عبد الله عليه السلام جالسان فقال له بعض جلسائه:

«إني والله لأحب هذا الرجل».

فقال له أبو جعفرعليه السلام:

«ألا فاعلمه، فإنه أبقىٰ للمودة وخير في الألفة»[1].

إن «المحبة» الكامنة في القلب تبقى مثل بذرة مودعة في صندوق، فهي لا يمكن أن تنمو وتثمر. وكذلك المحبة، إذ من يستطيع أن يعرف إن كان الآخرون يحبونه أم لا؟

ومن هنا يقول رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه، فإنه أصلح لذات البين»[2].

فلنصرح لمن نحبه بذلك، فإن هذه الكلمات الصغيرة، ستصنع تطوراً إيجابياً كبيراً في علاقتنا بالناس وعلى الأخص الأصدقاء منهم.



(١) المحاسن ١/٤١٥/٩٥١.

(٢) الجعفريات ص ١٩٥.

الأمر الثامن: تبادل الخدمات

قال الإمام علي عليه السلام:

«لأخيك عليك، مثل الذي لك عليه، وعليك أن تكرمه كما يكرمك، وتحفظه كما يحفظك».

فأن تقدّم لأخيك خدمة بخدمة، وهدية بهدية، وعملاً بعمل، أي أن تفعل بهم ما يفعلون بك، وأن تمنحهم ما يمنحونه لك. كل هو أقل ما هو مطلوب منك تجاههم.

إن الحياة أساساً قائمة على الأخذ والعطاء، ولا يمكن أن تأخذ من الحياة من دون أن تعطي، كما لا يمكن أن تعطي من دون أن تأخذ، ومعادلة الأخذ والعطاء سارية في كل مرافق الحياة، حتى مع الجمادات والنباتات.

فمثلاً.. إذا نظرنا إلى المصباح، نرى أنه يأخذ من الطاقة بمقدار ما يعطيك من النور، ولا يمكن أن تشغل شمعة، إلا أن تحرق كمية من الأوكسجين في الجو، وتتلف مادة الفتيل القابلة للإشتعال، وتذيب الشمع الذي يحيط بالفتيل. لتساوي كمية الضوء المنبعث منها.

والشجرة أيضاً لا يمكن أن تأخذ فقط، ولا أن تعطي فحسب، فإذا تحولت الشجرة إلى مستهلكة لعناصر الأرض والهواء وأشعة الشمس، ولم تعطِ ثماراً، فإنها تتحول بذلك إلى حطب، يحرق تحت القدر!

وإذا كانت المعادلة هذه صحيحة فيما يرتبط بالشجر، والمصباح، فهي أصح فيما يرتبط بالإنسان، وعلاقته مع الآخرين. فمن يعطيك ويأخذ منك، تبقى مودته معك، ومودتك له.. بينما الذي يأخذ منك بشكل دائم، ولا يعطيك لا بد أن ينقطع بينكما حبل الودّ معه..

تلك هي سنة الله في الحياة.

﴿فلن تجد لسنة الله تبديلاً، ولن تجد لسنة الله تحويلاً﴾[1].

وإن أولئك الذين يأخذون فقط، قد ينجحون في يوم أو بعض يوم، ولكن الحياة ستسلبهم في يوم ما كل ما أخذوه بلا عطاء.

فالحياة قائمة على الحق، ومن حق الإنسان الفرد، أن له حقوقاً بمقدار ما عليه من الواجبات فإذا لم يؤد ما عليه من واجبات، سقط ما له من حقوق، والعكس صحيح أيضاً.

والذي يأخذ حقه دون أن يؤدي ما عليه، قد يفلت من دائرة القصاص مرة، ومرتين، وثلاثاً.. ولكنه في النهاية سيدفع الثمن مرة واحدة.

وهكذا فأت مطالب في تعاملك مع الناس ـ على أقل التقادير ـ أن تعطي شيئاً في مقابل شيء. فإن قدم لك صاحبك

---

(١) سورة فاطر، آية: ٤٣.

هدية، فردّ الهدية بهدية مثله. أليس من يقدم لك وردة، يتوقع منك كلمة شكر بحجمها؟.

وإذا لم يسمع منك ذلك، أليس يمتنع عن الاستمرار في تقديم الهدايا؟.

وإذا أردنا أن نضع قانوناً، لعلاقة المودة بين الناس لقلنا: «إن لكل حبّ رد حب، يساويه في العمق ويخالفه في الاتجاه».

فمن أحبك، لا بد أن تحبه، ومن بادلك التحية، فلا بد أن تردها بأجمل منها أو بمثلها.

يقول الإمام علي عليه السلام:

«ليس بأخٍ، من أضعت حقه»[1].

فأخوك هو الذي يستحق منك أن تبادله الحب بالحب، والكلمة الطيبة بالكلمة الطيبة، والهدية بالهدية، والموقف الجيد بموقف جيد مثله، وإلاّ فليس بأخٍ من ضيّعت حقوقه. فمعروفك ليس للبعيد فحسب، بينما القريب يكون مصاباً بخيبة أمل فيك.. وإنما هو للقريب أولاً من الأصدقاء والأقرباء، ثم للآخرين..

ثم إن «من لم يشكر المخلوق، لم يشكر الخالق» ذلك أن لكل جهد حقاً، وعلى كل خدمة مسؤولية، فمن لم يؤد

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/ ٣٣٤/ ٢١٤.

الحق الذي عليه، فهو لم يؤد ما عليه من مسؤولية..

وأقل مسؤولية يجب أداؤها تجاه الأصدقاء هو أن نبادلهم المحبة، ونعوّض لهم عن العطاء.

وإلا فأية صداقة هذه التي تأخذ ولا تعطي؟.

إن الناس عادة يطلبون حتى من عناصر الطبيعة والحيوانات أن تكون معطاءة في مقابل ما تحصل عليه، فالدجاجة التي تشتريها لكي «تبيض» إذا امتنعت عن ذلك سيكون مصيرها الذبح. والشجرة التي لا تثمر مصيرها النار.

وليس الإنسان مستثنى من هذا القانون العام.. فمن لا يعطي، لا يستحق الأخذ بأي شكل من الأشكال.

وهذا هو ما نعنيه بقانون المبادلة.

يقول الإمام علي عليه السلام:

«من صاحب الناس كالذي يحب أن يصاحبوه، كان عادلاً»[1].

ويقول عليه السلام:

«لأخيك عليك مثل الذي لك عليه»[2].

---

(١) كنز الكراجكي ٢/١٦٢.

(٢) أعلام الدين ص ١٧٨.

ويقول في وصيته لكميل بن زياد:

«إن لم تحب أخاك فلست أخاه»[1].

وروي أن الإمام الصادق عليه السلام: كان يتمثل كثيراً بهذين البيتين:

أخوك الذي لو جئت بالسيف عامداً لتضربه لم يستغشك في الودِّ
ولو جئته تدعوه لم يكن يردك إبقاءاً عليك من الردِ[2]

ويقول الإمام زين العابدين عليه السلام:

«وأما حق الصاحب فأن تصحبه بالفضل ما وجدت إليه سبيلاً، وإلا فلا أقل من الإنصاف، وإن تكرمه كما يكرمك وتحفظه كما يحفظك، ولا يسبقك فيما بينك وبينه إلى مكرمة»[3].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«لا خير في صحبة من لم يرَ لك، مثل الذي يرى لنفسه»[4].

ويقول عليه السلام:

---

(١) تحف العقول ص ٢٢١.
(٢) أعلام الدين ص ١٨٠.
(٣) تحف العقول ص ٢٢٦.
(٤) تحف العقول ص ٣٦٨، وأعلام الدين ص ١٦٦.

«من جمع لك وده ورأيه، فاجمع له طاعتك»[1].

فالطاعة، هي ردٌ لجميل على الحب والإِخلاص.

ويقول:

«ما أقبح بالرجل أن يعرف أخوه حقه، ولا يعرف حق أخيه»[2].

ويقول:

«أيسر حب المؤمن أن تحب له، ما تحبه لنفسك، وأن تكره له ما تكره لنفسك»[3].

❀ ❀ ❀

الأمر التاسع: أن تعيرهم ما يحتاجون إليه

للصديق لا بدّ أن تهب نفسك، وتعير له مالك، وتتبع رضاه، وتتجنب سخطه.. فلا تشبع وهو جائع، ولا ترتوي وهو ظمآن، ولا تلبس وهو عريان، وحينما يكون لديك خادم، تساهم في توفير خادم له، وعندما تكون متزوجاً تسعى في تزويجه.

يقول المعلى بن خنيس:

---

(١) تحف العقول ص ٤٨٣.

(٢) مصادقة الإخوان ٤٢/ح ٥.

(٣) المصدر.

سألت أبا عبد الله عليه السلام فقلت:
ـ ما حق المؤمن على المؤمن؟
قال عليه السلام:

إني عليك شفيق، أخاف أن تعلم ولا تعمل وتضيّع ولا تحفظ!.

قال: قلت: لا حول ولا قوة إلا بالله.

فقال: للمؤمن على المؤمن سبع حقوق واجبات ليس منها حق إلا واجب على أخيه، إن ضيع منها حقاً خرج من ولاية الله وترك طاعته ولم يكن له فيها يوم القيامة حق.. الحق الأول منها أن تحب له ما تحب لنفسك، وأن تكره لنفسك له ما تكره لنفسك.

والثاني: أن تعينه بنفسك ومالك ولسانك ويدك ورجلك.

والثالث: أن تتبع رضاه، وتجتنب سخطه، وتطيع أمره.

والرابع: أن تكون عينَه ودليلَه ومرآته.

والخامس: أن لا تشبع ويجوع.. وتروي ويظمأ.. وتلبس ويعري.

والسادس: إن كان لك خادم أو لك امرأة تقوم عليك وليس له امرأة تقوم عليه، أن تبعث خادمك يغسل ثيابه ويصنع طعامه ويمهد فراشه.

والسابع: أن تبرّ قسمه، وتجيب دعوته، وتعود مرضه، وتشهد جنازته، وإن كانت لك حاجة فبادر إليها مبادرة إلى قضائها ولا تكلفه أن يسألكها فإذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايته[1].

إن على المؤمن أن يكون مرآة لأخيه المؤمن، يكشف له محاسنه ومواطن قوته، لكي يستثمرها.. كما يكشف له مواطن ضعفه، ومساويه لكي يتجنّبها.

فصديقك يعني أنت..

تُرى كيف تكون نفسك عندك.. هكذا يجب أن تعامل أخيك فترى فرحه فرحك، وحزنه حزنك ونجاحه نجاحك وهكذا..

يقول الإمام الباقر عليه السلام:

«أحببْ أخاك المسلم، واحبب له ما تحب لنفسك، واكره له ما تكره لنفسك، إذا احتجت فسله، وإذا سألك فأعطه، ولا تدخر عنه خيراً، فإنه لا يدخره عنك، كن له ظهراً فإنه لك ظهر، إن غاب حفظته في غيبته، وإن شهد فزره وأجلَّه وأكرمه فإنه منك وأنت منه، وإن كان عليك عاتباً فلا تفارقه حتى تسلّ سخيمته وما في نفسه، وإذا أصابه خير فاحمد الله عليه، وإن ابتلى فاعضده وتحمل له»[2].

ويقول الإمام علي عليه السلام:

---

(١) الاختصاص ص ٢٨ ـ ٢٩.

(٢) أمالي الصدوق ٢٦٥ ـ ٢٦٦/ ح ١٣.

«لا خير في أخٍ لا يوجب لك مثل الذي يوجب لنفسه»[1].

فإذا كان صديقك عندك هكذا، تكون قد وصلت ولايتك بولايته، وولايته بولاية الله سبحانه!.

❀ ❀ ❀

الأمر العاشر: إدخال السرور إلى قلوبهم

سُئِلَ رسول الله ﷺ: «أي الأعمال أفضل؟

فقال: أن تدخل على أخيك المؤمن سروراً، أو تقضي عنه ديناً، أو تطعمه خبزاً»[2].

من الطبيعي أن يرتاح الناس لمن يفرش لهم بساط السرور والغبطة، ويملؤهم ثقة وانشراحاً، أما من يفتح دكان شكاويه أينما جلس، وينشر ملفات الشؤم والفشل أينما حل وارتحل فإن الناس يتنفرون منه، ويرفضون الجلوس إليه، ويفضلون العزلة عنه.

وإدخال السرور في قلب الصديق له دور كبير في تمتين الصداقة، وربط حبائل المودة.

وقد تسأل: «كيف أدخل السرور إلى قلب الصديق»؟

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/٣٦٨/ ٤٥٤.

(٢) جامع الأخبار ص ١٨٤.

والجواب:

إن المسألة ليست معقدة، إذ يكفي لإدخال السرور إلى قلوب الناس أن تذكر لهم طرفة ظريفة، أو قصة هادفة، أو تقدم لهم هدية، أو تدعوهم إلى طعام. وهناك طرق أخرى كثيرة يعرفها كل صديق عن أصدقائه.

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام

«إن العبد من عبادي ليأتيني بالحسنة، فأبيحه جنتي، واحكمه فيها [أي اجعله في الجنة حاكماً]

فقال داود عليه السلام:

«يا رب وما تلك الحسنة؟

قال:

«يدخل على عبدي المؤمن سروراً ولو بتمرة.

فقال داود:

- يا رب، حق لمن عرفك، أن لا يقطع رجاءه منك»[1].

ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله:

(1) أمالي الصدوق ٦٠٤/ح ٢، الكافي ٢/ ١٨٩/ ٥.

«ما من عبد يدخل على أهل بيت مؤمن سروراً إلا خلق الله له من ذلك السرور خلقاً يجيئه يوم القيامة كلمامرت عليه شديدة يقول:

- يا ولي الله لا تخف».

فيقول:

«من أنت رحمك الله فلو أن الدنيا كانت لي ما رأيتها لك شيئاً؟

فيقول:

«أنا السرور الذي أدخلت على آل فلان[1].

ويقول ﷺ:

«مَنْ سرَّ مؤمناً فقد سرَّني، ومَنْ سرني فقد سرَّ الله»[2].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«من سرَّ مؤمناً سرَّه الله يوم القيامة، وقيلَ له: «تَمنَّ على ربك ما أحببت فقد كنت تحب أن تسرَّ أولياءه في دار الدنيا»، فيعطي ما تمنى، ويزيده الله من عنده ما لم يخطر على قلبه من نعيم الجنة»[3].

---

(١) ثواب الأعمال ص ٢٥٠.

(٢) المحجة البيضاء ٣/ ٤٠٧، الكافي ٢/ ١٨٨/ ١.

(٣) ثواب الأعمال ص ١٤٩.

وجاء في الروايات أن أبان بن تغلب قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن حق المؤمن على المؤمن؟».

فقال:

«حق المؤمن على المؤمن أعظم من ذلك، لو حدثتكم لكفرتم. إن المؤمن إذا خرج من قبره خرج معه مثال من قبره يقول: «أبشر بالكرامة من الله والسرور».

فيقول له: بشرك الله بخير.

«ثم يمضي معه يبشره بمثل ما قال، وإذا مر بهول قال: ليس هذا لك، وإذا مر بخير قال: «هذا لك».

«فلا يزال معه، يؤمنه مما يخاف ويبشره بما يحب، حتى يقف معه بين يدي الله عز وجل. فإذا أمر به إلى الجنة، قال له المثال: أبشر فإن الله عز وجل قد أُمِرَ بك إلى الجنة.

فيقول: «من أنت رحمك الله؟ تبشرني من حين خرجت من قبري، وآنستني في طريقي، وخبرتني عن ربي!».

فيقول: «أنا السرور الذي كنت تدخله على إخوانك في الدنيا، خلقت منه لأبشرك وأؤنس وحشتك»[1].

ويقول الإمام علي عليه السلام:

«ما من عبد أودع قلباً سروراً إلا وخلق الله من ذلك

(١) جامع السعادات ٢/ ٢٧٧.

السرور لطفاً فإذا نزلت به نائبة جرى إليها كالماء في انحداره حتى يطردها عنه كما تُطرد غريبة الإبل عن حياضها»[1].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«لا يرى أحدكم إذا أدخل على مؤمن سروراً أنه عليه أدخله فقط، بل والله يُدخله علينا، بل والله يُدخله على رسول الله صلى الله عليه وآله[2].

ويقول عليه السلام أيضاً:

«إذا بعث الله المؤمن من قبره، خرج معه مثال من قبره يقدمه أمامه، وكلما رأى المؤمن هولاً من أهوال يوم القيامة قال له المثال:

«لا تحزن، ولا تفزع، وابشر بالسرور والكرامة من الله عز وجل فلا يزال يبشره بالسرور من الله حتى يقف بين يدي الله جل جلاله، فيحاسبه حساباً يسيراً، ويأمر به إلى الجنة، والمثال أمامه.

فيقول له المؤمن: رحمك الله، نِعمَ الخارج معي من قبري، ما زلت تبشرني بالسرور، والكرامة حتى رأيت ذلك فمن أنت؟

---

(١) دار السلام ٣/ ٣٥٠.
(٢) المحجة البيضاء ٣/ ٤٠٨.

فيقول: أنا السرور الذي كنت أدخلته على أخيك المؤمن خلقني الله منه لأبشرك»[1].

ويقول الإمام الباقر عليه السلام:

«تبسّمْ الرجل في وجه أخيه، وصرف القذى عنه حسنة، وما عَبدَ الله بشيء أحبُّ إلى الله من إدخال السرور على المؤمن»[2].

ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنَّ من أحبِّ الأعمال إلى الله إدخال السرور على المؤمن، وأن يفرج عنه غماً أو يقضي عنه ديناً، أويطعمه من جوع»[3].

ويروي ابن سنان قائلاً:

«كان رجلُ عند أبي عبد الله عليه السلام:

فقرأ هذه الآية: **﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً﴾**[4].

فقال أبو عبد الله عليه السلام:

---

(١) ثواب الأعمال ص ١٥٠.
(٢) المحجة البيضاء ٣/ ٤٠٧.
(٣) المحجة البيضاء ٣/ ٤٠٥.
(٤) سورة الأحزاب، آية: ٥٨.

فما ثواب من أدخل عليه السرور؟

فقلت: جعلت فداك! عشر حسنات.

قال: «أي والله وألف ألف حسنة»[1].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«يا ابن جندب!. من سره أن يزوجه الله من الحور العين، ويتوجه بالنور، فليدخل على أخيه المؤمن السرور»[2].

وقد يقول قائل: أنا رجل متشائم بطبعي، فالحياة عندي كلّها مشاكل، وصعوبات، فكيف يكون المطلوب مني، أن أحمل إلى الآخرين سروراً؟!.

والجواب:

قد يكون الأمر كذلك في بعض الأوقات، إلاّ أن المطلوب هو أن يُخفي الإنسان حزنه، ويشيع في الناس الفرحة، فالمؤمن كما يقول الحديث الشريف:

«حزنه في قلبه، وبشره في وجهه»[3].

لأن «الإخوان جلاء الهموم والأحزان»[4].

---

(١) جامع السعادات ٢/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨.

(٢) تحف العقول ص ٢٢٢.

(٣) نهج البلاغة ١٩/ ٢٤٥.

(٤) دار السلام ٣/ ٣٣١.

فإذا كنت حزيناً، فاجعل الحزن في طيات قلبك، واعمل على إشاعة السرور بين الناس، ألم يكن الإمام عليّ عليه السلام يدخل رأسه في البئر، في ظهر الكوفة، ويشتكي إلى الله، حتى لا يسمع شكايته أحد؟ بينما كانت البسمة دائماً - على وجهه؟ -.

وكما يطالبنا الإسلام، أن ندخل السرور في قلوب المؤمنين، فإنه يحرم علينا إدخال الحزن إلى قلوبهم أو الإساءة إليهم، فإهانة المؤمن، وردّه، وتخييب أمله فيك أمور محرمة جملة وتفصيلاً.

يقول رسول الله صلى الله عليه وآله:

«من لقي أخاه بما يُسره، سره الله يوم القيامة، ومن لقي أخاه بما يسوءه ليسوءه، ساءه الله يوم القيامة»[1].

❀ ❀ ❀

الأمر الحادي عشر: الاهتمام بما يهمهم

هناك قاعدة ذهبية في فن التحدث مع الناس، وهي: «إذا كنت تريد أن يستمع لك الناس، ويرتاحون إليك فتحدث معهم فيما يهمهم».

وفي الحقيقة فإن من السهل على أي إنسان أن يتحدث فيما يتصل باهتماماته الشخصية، ولكن من الصعب عليه أن

(١) ثواب الأعمال ص ١٥١ - ١٥٢.

يحسن التحدث باهتمامات الآخرين. . والفرد الناجح، هو من يجيد التحدث عن اهتمامات الناس، وليس عن همومه واهتاماته فحسب.

يقول أحد المحامين الناجحين:

«إن نجاحي في الحياة، مدين لمعرفتني فن التحدث في اهتمامات كل من ألتقي معه، وكانت لي قصة في تعلم هذا الفن، فعندما كنت في مقتبل الشباب، كنت مولعاً بالقوارب، وحدث أن زارنا ضيف في منزلنا، وبمجرد أن عرف هوايتي، بدأ يتحدث عن المياه والبحر، والقوارب، فارتحت كثيراً لحديثه، وانسقت معه.

«وعندما انصرف من المنزل، سألت والدي عن وظيفته:

فقال: إنه صاحب محل تجاري!.

فقلت: فما باله يتحدث عن القوارب، والبحار، والمياه، وكأنه ابنها. .

فرد والدي:

ـ لقد عرف أن ذلك من اهتماماتك، فتحدث معك في مجال هوايتك، حتى يجذبك لتبادل أطراف الحديث معه».

وبالطبع فإننا عندما نقول تحدث في اهتمامات صديقك، فلا نعني بذلك أن تتنازل عن اهتماماتك، وإنما نعني أن تستفيد من اهتماماته للعبور إلى ما تحمله من هم.

فللحصول على ما تريد من غيرك ابدأ في ما يهتم به، ثم عرّج على ما تهتم به أنت، فالطريق المؤدي إلى قلب كل إنسان، أن تتحدث فيما يسره.

وكم من أفراد يعود نجاحهم إلى قدرتهم على أن يتحدثوا مع الآخرين فيما يهتم به أولئك، وفيما يسرهم.

وكم من فشل لأفراد آخرين كان بسبب إنهم لم يكونوا يعرفون كيف يتحدثون عن اهتمامات غيرهم. . وكما في مجرد التحدث كذلك في الأعمال والمواقف، فلا بد من الاهتمام بما يهمّ الناس بشكل عام.

❁ ❁ ❁

الأمر الثاني عشر: الحفاظ على أسرار الأصدقاء

قال رسول الله ﷺ:

«إنما يتجالس المتجالسان بأمانة الله، فلا يحل لأحدهما أن يفشي على أخيه ما يكره»[1].

لا شك أن لكل إنسان أسراره الخاصة به.

وقد تكون أسرار الشخص غير مهمة بالنسبة إلى الواقع، ولكنها مهمة حتماً بالنسبة إليه، وهتكها وإفشاؤها بين الناس، شبيه بهتك عرضه وناموسه.

إن للسرّ حرمة خاصة كحرمة المال والدم، ولا يجوز لأي إنسان أن يحاول كشفه، أو التنصت عليه، أو نشره بين

(١) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر ١/٩٨.

الناس، تماماً كما لا يجوز لأحد أن يسرق أموال الآخرين، ويتصرف فيها، وإن حدث ذلك فإنه يأكل في بطنه ناراً.

وقد ورد في أحكام الفقه أنه لو أطلّ أحد على بيت غيره فزجره أهل البيت، ولكنه لم يرتدع وكرر العمل ثانية، فوجه له أهل البيت سهماً فأصاب عينه فأصابها، فإن أصحاب البيت لا يتحملون مسؤولية ذلك. لأنه تطفل على أسرارهم..

على أنّ هناك من يعتذر لكشف أسرار الآخرين، بأن ذلك أمر عادي، وليس سراً..

إلاّ أن هذا العذر غير صحيح، فصاحب السرِّ، هو الذي يحدد فيما إذاكان سرّه أمراً عادياً، أم غير عادي، وليس الفاشي له!.

إن السرّ الذي لا يريد الشخص كشفه، قد يرتبط بمجرد دينار، أو درهم أعطي لشخص أو أخذ منه، ولكن صاحبه لا يريد أن يعرفه أحد.. فهو سره إذن، ولا يجوز كشفه!.

يقول رسول الله ﷺ:

«إنما المجالس بالأمانة، ولا يحل لأحد أنْ يفشي على صاحبه سرّه»[1].

ويقول ﷺ:

---

(١) ميزان الحكمة.

«إن من الخيانة أن تحدث بسر أخيك»[1].

ويقول الإمام الصادقعليه السلام:

«المجالس بالأمانة، وليس لأحدٍ أن يحدّث بحديث يكتمه صاحبه إلا بإذنه، إلا أن يكون ثقة أو ذكراً له بخير».

ويقول رسول اللهصلى الله عليه وآله في وصية لأبي ذر الغفاري رضي الله عنه:

«يا أبا ذر المجالس بالأمانة، وإفشاء سرّ أخيك خيانة، فاجتنب ذلك، واجتنب مجلس العشيرة»[2].

ولقد حكي أن رجلاً أسرَّ إلى حكيم حديثاً ثم قال: أفهمت؟

قال: بل جهلت.

قال: أحَفظتْ؟

قال: بل نَسيت[3].

يقول الإمام عليعليه السلام:

«لا تثق بمن يضيّع سرك، ومن الخيانة أن تحدث بسرّ أخيك»[4].

---

(١) حلية المتقين ص ٥٦٥، جامع السعادات ٢/ ٢٧٣.

(٢) عين الحياة ٢/ ٣٧٥.

(٣) أدب الدنيا والدين ص ٢٩٧.

(٤) موسوعة كلمات الإمام عليعليه السلام في الأخلاق.

وفي الوقت الذي يكون مطلوباً منك أن لا تفشي أسرار الأصدقاء، فإن عليك أيضاً أن لا تُعطي كل أسرارك للآخرين.

يقول الإمام علي عليه السلام:

«سرّك من دمك، فلا يجري في غير أوداجك»[1].

ويقول عليه السلام: «سِرُّك أسيرك، فإن تكلّمت به صرت أسيره».

ويقول أحد الشعراء:

ولا تُفشِ سرَّك إلا إليكَ   فإن لكل نصيح نصيحا[2]

وقيل في منثور الحكم:

لا تنكح خاطب سِرَّك[3]

ويقول أحد الأدباء:

«مَنْ كتم سره، كان الخيار له، ومن أفشاه كان الخيار عليه»[4].

ويقول الإمام علي عليه السلام:

«لا تطلع صديقك من سرك، إلاّ على ما لو اطّلع عليه

---

(١) أعلام الدين ص ٣٠٣.

(٢) أدب الدنيا والدين ص ٢٩٥.

(٣) أدب الدنيا والدين ص ٢٩٦.

(٤) أدب الدنيا والين ص ٢٩٥.

عدوك، لم يضرك»[1].

وورد في الأخبار:

أن عبد الملك بن مروان انقطع من أصحابه فانتهى إلى أعرابي فقال:

«أتعرف عبد الملك بن مروان؟

قال: نعم، جائر بائر.

قال عبد الملك: ويحك، أنا عبد الملك.

قال الأعرابي: لا حيّاك ولا بيّاك ولا قرّبك ولا أكلت مال الله وضيّعت حرمته.

قال: ويحك أنا أضرُّ وأنفع.

قال: لا رزقني الله نفعك، ودفع عني ضرك».

فلما وصلت إليه خيله قال الأعرابي:

ـ «يا أمير المؤمنين أكتم ما جرى فإن المجالس بالأمانة»[2].

يقول الإمام علي عليه السلام:

«من كتم سره كانت الخيرة بيده، وكل حديث جاوز

---

(١) عين الحياة ٢/٣٧٦.

(٢) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر ١/٣١.

اثنين فشا»[1].

ويقول أحد الشعراء:

فـلا تـنـطـق بـسـرِّك، كـلُّ سـرٍّ　إذا ما جاوز الإثـنـيـن فـاشـي[2]

وقال آخر:

وسـرُّكَ مـا كـان عـنـد امـرىءٍ　وسـر الـثـلاثـة غـيـرُ خـفـي[3]

وقال أحدهم:

«القلوب أوعية الأسرار، والشفاه أقفالها، والألسن مفاتيحها، فليحفظ كل امرىء مفتاح سرِّه»[4].

وهنا قاعدتان تشرحان لنا كيف نتعامل فيما يرتبط بالأسرار، بالنسبة للمؤمنين:

الأولى ـ إن ما لا يجب أن يعرفه الصديق، وما لا يهمه، يجب أن لا يعرفه، إذ ليس له في معرفته أية مصلحة، كما ليس لصاحب السر مصلحة فيه أيضاً.

الثانية ـ أن لا تعطي سرك إلا إلى صديق مؤتمن، من النوع الذي أكدت لك التجارب صدق إيمانه ووفائه.

يقول الإمام علي عليه السلام:

(١) عين الحياة ٢/٣٧٦.
(٢) (٣) أدب الدنيا والدين ص ٢٩٧.
(٤) أدب الدنيا والدين ص ٢٩٦.

«لا تودع سرك، إلا مؤمناً وفياً»[1].

«وقيل لرجل:

- كيف كتمانك للسر؟

قال: أجحد المخبر، واحلف للمستخبر»[2].

ويقول أحد الشعراء:

لا تُذِعْ سراً إلى طالبه منك   فالطالب للسرِّ مذيعُ[3]

ويقول الإمام الباقر عليه السلام:

«قم بالحق، واعتزل ما لا يعنيك، وتجنب عدوك، واحذر صديقك من الأقوام إلا الأمين، ولا أمين إلا مَنْ خشي الله»[4].

❀ ❀ ❀

الأمر الثالث عشر: مصادقة أصدقائهم - ومعاداة أعدائهم

حينما تصادق إنساناً، فلا بد أن يصبح جزءاً منك، وتصبح أنت جزءاً منه.. ومن ثم تصادق أصدقاءه، وتعادي أعداءه..

---

(١) موسوعة كلمات الإمام علي عليه السلام في الأخلاق.

(٢) دب الدنيا والدين ص ٢٩٧.

(٣) أدب الدنيا والدين ص ٢٩٧.

(٤) مشكاة الأنوار ص ٧٠.

يقول الإمام علي عليه السلام:

«أصدقاؤك ثلاثة، وأعداؤك ثلاثة.

«فأصدقاؤك: صديقك. وصديق صديقك. وعدوّ عدوّك».

«وأعداؤك ثلاثة: عدوك. وعدوّ صديقك. وصديق عدوّك»[1].

ويقول عليه السلام:

«لا تتخذن عدو صديقك صديقاً فتعادي صديقك»[2].

❀ ❀ ❀

الأمر الرابع عشر: مناداتهم بأحب الأسماء

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«ثلاثة يصفّين ود المرء لأخيه المسلم:

«يلقاه بالبشر إذا لقيه.

«ويوسّع له في المجلس إذا جلس إليه.

«ويذكره بأحب الأسماء إليه!»[3].

---

(١) موسوعة كلمات الإمام علي عليه السلام في الأخلاق.

(٢) تحف العقول ص ١٤٥.

(٣) مشكاة الأنوار ص ٢٠٤.

يحبّ الإنسان عادة أن يخلّد اسمه. لأنه يرى نفسه فيه.. ومن هنا فإنه مستعد أن يبذل الكثير من المال لبناء أي شيء يحمل اسمه، أو يسهر الليالي الطوال لينجز عملاً ينتشر صيته بسببه في العالم..

ومن هنا كان من حق الولد على أبيه أن يحسن اسمه، لأنه سوف يعرف به إلى آخر أيام حياته، فإذا كان جميلاً ارتاح من ذكره. أمّا إذا كان قبيحاً فإنه يبقى غير راض عنه، وعمن سماه به.

وطالما أن كل إنسان يحب اسمه، فلنذكر في خطابنا أسماء الأصدقاء ولنحفظ أكبر عدد ممكن من أسماء الناس.

يقول رسول الله ﷺ: «إذا جاءك الرجل فاسأله عن اسمه، واسم أبيه، وممن هو، فإنه أوصل للمودة»[1].

فمن دون معرفة الاسم كيف يمكن أن تتكون صداقة؟

ترى: لو أن شخصاً يمدح صديقاً له، وحينما يُسأل عن اسمه، يقول: لا أعرف اسمه، أو يقول: قد نسيته..

أليست تلك مدعاة للسخرية؟.

حدث في قرية «ستوني بوينت» الصغيرة بولاية نيويورك، أن توفي طفل لأحد سكان البلدة، وبينما كان جيرته يستعدون

---

(1) مشكاة الأنوار ص ١٩٣.

لتشييع جنازته، ذهب رجل واسمه «جيم فارلي» إلى «الاسطبل» ليعد جواده لكي يشترك مع أهل بلدته في تشييع الجنازة. وكانت الأرض مكسوة بالبرد، والجو زمهريراً، والرياح تصفر، وبينما كان الجواد يمشي على الأرض التي غدت أشبه بالصقيع، إذا به يقفز فجأة ويرفع رجليه الخلفيتين إلى أعلى ويضرب بهما «جيم فارلي» فيقتله لساعته! وشهد سكان القرية الصغيرة، في ذلك اليوم جنازتين لا واحدة!.

وترك «جيم فارلي» وراءه أرملة وثلاثة أولاد، وبضع مئات من الدولارات هي قيمة التأمين على حياته.

وكان أحد أبنائه في العاشرة من عمره حينذاك، واسمه «جيم»، فذهب يبحث عن عمل، حتى وجده في مصنع لطوب البناء، حيث راح يحمل الرمل ويصبه في القوالب، ثم يعرضه للشمس حتى يجف. لم ينل هذا الصبي من التعليم إلا قدراً يسيراً، ولكنه بغريزته كان يجيد التحبب إلى الناس، واستطاع، بمرور الوقت، أن يربي في نفسه مقدرة فائقة على تذكر أسماء الناس، فما أن بلغ الأربعين من عمره حتى منحته أربع جامعات درجاتها الفخرية، وقد أصبح، فيما بعد «رئيس اللجنة الديمقراطية القومية» ومديراً عاماً للبريد في الولايات المتحدة!.

يقول أحدهم قابلت «جيم» ذات يوم وسألته عن سر نجاحه الباهر، فقال لي: «الجهد والاجتهاد».

فقلت: «لا تمزح!».

فسألني ماذا أظن، إذن، كان سر نجاحه؟

فقلت «سمعت أن في وسعك أن تنادي عشرة آلاف شخص بأسمائهم الأولى!» وكنت مصيباً في ظني، فقد ساعدت هذه المقدرة «جيم فارلي» على أن ينصب فرانكلين روزفلت رئيساً للولايات المتحدة.

أما كيف خلق «جيم» هذه المقدرة على تذكر أسماء الناس فأمر هين: كان إذا التقى بصديق جديد تعرف على اسمه الكامل وأسماء أولاده وذويه المقربين، ووقف على طبيعة عمله، ولونه السياسي، وآرائه العامة ومن ثم يحتفظ بهذه المعلومات في ذهنه كجزء من الصورة التي اختزنها في مخيلته لهذا الصديق، فمتى التقى به ثانية، وسعه أن يربت على كتفه ويسأله عن أولاده، والأزهار الجميلة التي تنبت في حديقة داره، فلا عجب إذن أن يكون له على مر الأعوام، معارف وأصدقاء يفوق عددهم الحصر!.

وقبل أن يبدأ فرانكلين روزفلت حملته الانتخابية بأشهر، عكف «جيم فارلي» على كتابة مئات الرسائل كل يوم لأشخاص يعرفهم في جميع أنحاء الولايات، ثم استقل القطار وظل مدى تسعة عشر يوماً يجوب أنحاء الولايات، وقطع في هذه الجولة اثني عشر ألف ميل!.

وكان إذا حل ببلد قابل معارفه فيها على مائدة الطعام،

فيقضي معهم زمناً يلقي عليهم فيه تحية خاصة، ثم يتركهم ليستأنف رحلته، فلما آب من رحلته انتقى من كل بلد زاره رجلاً واحداً وسأله أن يعد له قائمة بكل من قابلهم وتحدث إليهم. وقد حوت هذه القوائم آلافاً من الأسماء، ومع ذلك، فكل اسم ورد في تلك القوائم حظي صاحبه بمحادثة ودية مع «جيم فارلي».

وكانت الرسائل التي يكتبها «جيم» تبدأ دائماً بهذه العبارة: «عزيزي فلان، ويذكر اسمه الكامل ولكنه كان يوقع باسمه الأول «جيم» فقط».

لقد اكتشف هذا الرجل في وقت مبكر من حياته أن أحب الأسماء للإنسان هو اسمه! ومتى ذكرت اسم شخص صادفته وناديته به في المرة التالية التي تلقاه فيها، فثق إنك أديت له مجاملة لطيفة باقية الأثر.

أما لو نسيت اسمه، أو نطقت به مغلوطاً فكأنك تبين قلة اهتمامك به.

لقد حدث لأحد المشاهير أن دعى جماعة إلى برنامج عام، فأرسل مجموعة بطاقات دعوة إلى المدعويين يدعوهم إلى الاشتراك في ذلك البرنامج، وحدث أن الذي قام بكتابة الأسماء أخطأ في كتابة أسماء بعض المدعويين، فما كان من هؤلاء إلاّ أن كتبوا إليه رسائل غاضبة يعربون فيها عن غضبهم لكتابة أسمائهم بشكل خاطىء..

إن إحدى الطرق السهلة المضمونة لاكتساب قلوب الناس هي تذكر أسماءهم، وجعلهم بهذا يشعرون بأهميتهم، فكم منا يفعل ذلك؟!

إننا نقضي نصف الوقت الذي نتعرف فيه على غريب نتبادل بضع كلمات جوفاء، ثم لا نستطيع حتى أن نذكر اسمه عندما يحيينا لينصرف!.

لقد كان نابليون الثالث، إمبراطور فرنسا وابن عم نابليون الشهير يباهي بأنه، على الرغم من انشغالاته الكثيرة فإنه، يستطيع أن يذكر اسم كل شخص التقى به.

فماذا كانت خطته! إنها غاية في البساطة. كان إذا لم يسمع اسم محدثه واضحاً قال له: «آسف لم أستطع أن ألتقط الاسم تماماً» فإذا كان الاسم على شيء من الغرابة سأل: «كيف يُتهجى؟» ثم يقوم خلال المناقشة يكرر الاسم عدة مرات، ويحاول أن يربطه، في ذهنه، بصورة صاحبه، وملامحه، وتعبيراته ومظهره العام.

وإذا كان الرجل على قدر من الأهمية، قام نابليون، فضلاً عن هذا بعمل آخر، وهو أنه كان يقوم بتدوين اسم صاحبه على قرطاس، ثم يتأمله ملياً، ويحضر ذهنه فيه، وبهذا يكوّن فكرة «عينية» عن الاسم كما كوَّن فكرة «سمعية» فلا يعود هناك ثمة سبيل لنسيانه!.

إنّ ذكر اسم الصديق له تأثيره الكبير على تمتين أواصر المحبة.

يقول رسول الله ﷺ:

«ثلاثة يصفّين ود المرء لأخيه المسلم:

يلقاه بالبشر إذا لقيه.

«ويوسع له في المجلس إذا جلس إليه.

«ويذكره بأحب الأسماء إليه»[1].

ويقول الإمام علي عليه السلام:

«ثلاثة يصفين لك الود في قلب أخيك أن تبدأه بالسلام إذا لقيته وأن تدعوه بأحب الأسماء وأن توسع له في المجلس»[2].

ويبدو أن تحديد «أحب الأسماء» يعود إلى الوضع الاجتماعي لكل قوم. فهناك مجتمعات يكون الاحترام فيها للاسم الأول. وهناك مجتمعات أخرى يكون الاحترام فيها للكنية، أو اللّقب..



الأمر الخامس عشر: الوفاء بالوعود والعهود

(١) تحف العقول ص ١٤٥.

(٢) شرح نهج البلاغة ١٢/١٠.

قال الإمام علي عليه السلام:

«من أحسن الوفاء، استحق الاصطفاء»[1].

قد يعد الصديق إخوته بوعود، ولكنه لا يفي بها، فهو على ذنب لا كفارة معه، لأن خلف الوعد يكسر الثقة بين الإخوان. والثقة مثل الزجاج إذا انكسرت لا يمكن إعادتها كما كانت في السابق.

يقول الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

«لا تعتمد على مودة من لا يوفي بعهده»[2].

ويقول عليه السلام:

«الوفاء توأم الأمانة، وزين الأخوة»[3].

ويقول عليه السلام أيضاً:

«الوفاء توأم الصدق»[4].

فمن لا يفي بوعوده كمن لا يصدق في أحاديثه.

ويقول عليه السلام:

«الوفاء حلية العقل وعنوان النبل»[5].

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/٢٠٧/١٠٣٦.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/٣٢٤/٩٨.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم ١/٩٥/١٨٨٧.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم ١/٢١/٣٢٥.

ويقول عليه السلام:

«مَن سكن الوفاء صدره أَمِنَ الناس غدره»[1].

ويقول عليه السلام:

«لا عهد لمن لا وفاء له»[2].

ويقول عليه السلام:

«الوفاء عنوان وفور الدين وقوة الأمانة»[3].

ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله:

«من كان يؤمن بالله، واليوم الآخر، فليفِ إذا وعد»[4].

ويقول الإمام عليّ عليه السلام:

«سبب الائتلاف: الوفاء»[5].

ويقول عليه السلام: «الوفاء توأم الأمانة وزين الأخوة»[6].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم ١/ ٧١/ ١٦٣٣.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/ ٢٤٤/ ١٥٦٥.
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/ ٣٦٠/ ٣٥٢.
(٤) غرر الحكم ودرر الكلم ١/ ٧٠/ ١٤٦٩.
(٥) تحف العقول ص ٤٥.
(٦) غرر الحكم ودرر الكلم ١/ ٣٨٩/ ٢.
(٧) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/ ٢٠٧/ ١٠٣٦.

«عِدةُ المؤمن أخاه نذر لا كفارة له، فمن أخلف، فبخلف الله بدأ، ولنقمته تعرّض»[1].

إن الوفاء بالوعد مطلوب حتى مع الأعداء، وفي مواقع الخسارة فكيف مع الأصدقاء وفي حالات الربح؟

إن التاريخ يذكر بالخير كل الأوفياء، كما يذكر بسوء كلّ الذين نقضوا عهودهم..

ومما يروى هنا من قصص الوفاء «أن النعمان بن المنذر كان قد جعل له يومين يوم بؤس، ويوم نعيم، وكان في يوم بؤسه يقتل من صادفه فيه وأرداه.

وكان في يوم نعيمه، يحسن إلى من صادفه فيه وأغناه، وكان رجل طائي قد رماه حادث دهره بسهام فاقته وفقره، فاخرجته الفاقة من محل استقراره. ليرتاد شيئاً لصبيته وصغاره، فبينما هو كذلك إذ صادفه النعمان في يوم بؤسه فلما رآه الطائي علم أنه مقتول وأن دمه مطلوب، فقال:

«حيا الله الملك.. إن لي صبية صغاراً وأهلاً جياعاً وقد أرقت ماء وجهي في حصول شيء من البلغة لهم، وقد أقدمني سوء الحظ على الملك في هذا اليوم العبوس، وقد قربت من مقر الصبية والأهل وهم على شفا تلف من الطوى، ولن يتفاوت الحال في قتلي بين أول النهار وآخره، فإن رأى الملك

(١) غرر الحكم ودرر الكلم ١/ ٩٥/ ١٨٨٧.

أن يأذن لي في أن أوصل إليهم هذا القوت، وأوصى بهم أهل المروءة من الحي لئلا يهلكوا ضياعاً، ثم أعود إلى الملك وأسلم نفسي لنفاذ أمره».

فلما سمع النعمان صورة مقاله وفهم حقيقة حاله ورأى تلهفه على ضياع أطفاله رقَّ له ورثى لحاله، غير أنه قال له: لا آذن لك حتى يضمنك رجل معنا فإن لم ترجع قتلناه.

وكان شريك ابن عدي بن شرحبيل نديم النعمان معه فالتفت الطائي إلى شريك وقال له:

يا شريك بن عُدي ما من الموت انهزام
من لأطفالٍ ضعافٍ عدموا طعمَ الطعامِ
من رجوع وانتظار وافتقارٍ وسقام
يا أخا كلّ كريمٍ أنت من قومٍ كرام
يا أخا النعمان جُدْ لي بضمانٍ والتزام
ولك الله بأنّي راجعٌ قبل الظلام

فقال شريك بن عدي: «أصلح الله الملك، عليّ ضمانه»،

فمر الطائي مسرعاً وصار النعمان يقول لشريك: «إن صدر النهار قد ولى ولم يرجع»..

وشريك يقول: «ليس للملك عليَّ سبيل حتى يأتي المساء».

فلما قرب المساء قال النعمان لشريك: «قد جاء وقتك، قم فتأهب للقتل».

فقال شريك: «هذا شخص قد لاح مقبلاً وأرجو أن يكون الطائي فإن لم يكن فأمر الملك ممتثل».

فبينما هم كذلك وإذ بالطائي قد اشتد عدوه في سيره مسرعاً حتى وصل.

فقال: «خشيت أن ينقضي النهار قبل وصولي».

ثم وقف قائماً وقال: «أيها الملك مر بأمرك».

فأطرق النعمان ثم رفع رأسه وقال: «والله ما رأيت أعجب منكما، أما أنت يا طائي فما تركت لأحد في الوفاء مقاماً يقوم فيه ولا ذكراً يفتخر به، وأما أنت يا «شريك» فما تركت لكريم سماحة يذكر بها في الكرماء، فلا أكون أنا ألأم الثلاثة، وإني قد رفعت يوم بؤسي عن الناس ونقضت عادتي، كرامة لوفاء الطائي وكرم شريك».

فقال الطائي:

ولقد دعتني للخلاف عشيرتي فعددت قولهمو من الأضلال
إني امرؤٌ مني الوفاء سجية وفعالُ كلَّ مهذبٍ مفضال

فقال له النعمان: «ما حملك على الوفاء وفيه إتلاف نفسك؟

فقال: «ديني فمن لا وفاء فيه لا دين له». فأحسن إليه

النعمان ووصله بما أغناه وأعاده مكرماً إلى أهله وأناله ما تمناه[1].

❁ ❁ ❁

الأمر السادس عشر: التزين للأصدقاء

قال الإمام علي عليه السلام:

«التجمل مروءة ظاهرة»[2].

هنالك مثل عربي يقول: «كُلْ كما تشتهي، والبسْ كما يشتهي الناس» إذ لا يجوز لك أن تعاشر الآخرين بالطريقة التي تعجبك أنت. ومن هنا فإن لبس ثياب متسخة، وانبعاث الروائح الكريهة لا يبقى لأحد صديقاً ومن هنا فقد أُمرنا بالتعطر للإخوان والتزيّن لهم، وتنظيف اليدين والوجه والفم من أجلهم.

إن كل العظماء كانوا ممّن يهتمون بمظهرهم من أجل الناس، كما أنهم كانوا ممن يتجنب الناس إذا كانوا في وضع خاص يتنافى مع الاهتمام بهم وهذا ما فعله الإمام الباقر عليه السلام كما ينقل الحسن الزيات حيث يقول:

«لما قضيت نسكي مررت بالمدينة فسألت عن أبي

---

(١) التذكرة الحمدونية ١/٢٤٩ ـ ٢٥٠.

(٢) غرر الحكم وورد الكلم ١/٢٣/٣٧٢.

جعفر عليه السلام فقالوا هو بينبع، فأتيت ينبع.

فقال: ـ يا حسن أتيتني إلى هنا!

قلت: ـ «نعم جعلت فداك، كرهت أن أخرج ولا ألقاك».

فقال: ـ «إني أكلت هذه البقلة (يعني الثوم) فأردت أن أتنحى عن مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله»[1].

وكما أنّ تجنب الناس في مثل هذه الحالات مطلوب فإنّ التعطر لهم، والتزين قبل الخروج إليهم، أمر مستحب دائماً.

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«إن الله عز وجل يحب الجمال والتجمل، ويبغض البؤس والتباؤس»[2].

ويقول عليه السلام:

«إن الله إذا أنعم على عبده بنعمة يحب أن يرى أثر نعمته.

فقيل: «وكيف ذلك»؟

قال: «ينظف ثوبه، ويطيب ريحه، ويجصص داره، ويكنس أفنيته، حتى أن السراج قبل مغيب الشمس ينفي الفقر

---

(١) المحاسن ٥٢٣/ح ٧٤.

(٢) إرشاد القلوب ص ١٩٥.

ويزيد في الرزق»[1].

ويقول الإمام الرضا عليه السلام:

«كان لعلي بن الحسين عليه السلام مشكدانة من رصاص معلقة فيها مسك، فإذا أراد الخروج ولبس ثيابه تناولها وأخرج منها فمسح به»[2].

كما أن «رسول الله صلى الله عليه وآله كان ينفق على الطيب أكثر ما ينفق على الطعام»[3].

والتعطر ليس مطلوباً فقط لملاقاة الناس بل هو أيضاً مطلوب لملاقاة الله تعالى أيضاً.

يقول الحديث الشريف:

«ركعتان يصليهما متعطر أفضل من سبعين ركعة يصليها غير متعطر»[4].

وروي: أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان ينظر في المرآة، ويرجّل جمّته، ويمتشط، وربما نظر في الماء، وسوى جمّته فيه، ولقد كان يتجمّل لأصحابه فضلاً إلى تجمّله لأهله، ويقول: «إن الله يحب من عبده إذا خرج إلى إخوانه أن يتهيأ لهم ويتجمّل»[5].

---

(١) إرشاد القلوب ص ١٩٥.

(٢) مكارم الأخلاق ص ٤٢.

(٣) مكارم الأخلاق ص ٤٣.

(٤) مكارم الأخلاق ص ٤٢.

(٥) وسائل الشيعة ٣/ ٣٤٠.

ولذلك كله فإنّ «ما أنفقت في الطيب فليس بسرف» كما يقول الإمام الصادق عليه السلام[1].

ويقول عليه السلام:

«أربع من سنن المرسلين السواك والحناء والطيب والنساء»[2].

ويقول الإمام علي عليه السلام:

«ليتزين أحدكم لأخيه المسلم كما يتزين للغريب الذي يحب أن يراه في أحسن الهيئة»[3].

وروي «أن رسول الله صلى الله عليه وآله أراد يوماً أن يخرج على أصحابه فكان ينظر في حبّ من الماء ويسوي عمامته وشعره فقيل له:

- أو تفعل ذلك يا رسول الله؟

فقال صلى الله عليه وآله: «نعم إن الله يحب العبد أن يتزين لإخوانه إذا خرج إليهم»[4].

ومن التجمل والتزين: التعطر، وحتى بالنسبة إلى الصائم

---

(١) مكارم الأخلاق ص ٤١.

(٢) مكارم الأخلاق ص ٤١.

(٣) الحقائق في محاسن الأخلاق ص ٨٩.

(٤) الحقائق في محاسن الأخلاق ص ٨٩.

فإن «الطيب تحفة الصائم»[1] لأن ذلك يجذب الناس.

وفي الحديث، أن الرسول الكريمﷺ كان إذا مشى في زقاق ملأ المكان رائحة طيبة.

❀ ❀ ❀

الأمر السابع عشر: معرفة العناوين

قال رسول اللهﷺ:

«إذا آخى أحدكم رجلاً، فليسأله عن اسمه، واسم أبيه، وقبيلته، ومنزله فإنه من واجب الحق وصافي الأخاء، وإلا فهي مودة حمقاء»[2].

أن تعرف عائلة الصديق، وعشيرته، وعنوان بيته، ومكان عمله، ورقم هاتفه وما شابه ذلك، ليس أمراً مستحباً فحسب، بل هو أمر ضروري للصداقة، وله كل التأثير على استمرارها.

يقول المفضل: دخلت على أبي عبد اللهعليه السلام. فقال لي: مَنْ صحبك؟

فقلت: رجل من إخواني.

قال: ما فعل؟

---

(١) الخصال ١/٦٢/٨٦.

(٢) كنز الفوائد ١/٩٨.

فقلت: منذ دخلت المدينة لم أعرف مكانه.

فقال لي: «أما علمت أن من صحب مؤمناً أربعين خطوة سأله الله عنه يوم القيامة»[1].

ويقول رسول الله ﷺ:

«إذا أحببت أحداً فسله عن اسمه، واسم أبيه، وعن منزله، فإن كان مريضاً عدته، وإن كان مشغولاً أعنته»[2].

ويقول الشعبي في الرجل يجلس مع الرجل فيقول:

«أعرف وجهه ولا أعرف اسمه: تلك معرفة النوكي (أي الحمقى)»[3].

إن المودة المقطوعة هي أن تتعرف على صورة الصديق فقط. أما المودة الأصيلة، فهي التي تقوم على ترابط عضوي، بأن تتعرف عليه، وعلى عائلته، وقبيلته، وعشيرته. وأن تربط خيوط المودة بقلوب عائلته، وتنسج الصداقة معه على أساس متين، وهذا بحاجة إلى أن تعرف مكانه، وعنوانه، وعنوان عمله، ورقم هاتفه، وتقوم بالاتصال به دائماً، والسؤال عنه، والاستمرار في التعاون معه وكأنك جزء منه وهو جزء منك.

---

(١) عوالي اللئالي ٤/ ٣١/ ١٠٨.
(٢) المحجة البيضاء ٣/ ٣٢٢.
(٣) المحجة البيضاء ٣/ ٣٢٢.

الفهرست